مختارات مقترحة

د. سعاد الصباح

تقديم

د. محمد عنانى

مختارات مقترحة

د. سعاد الصباح

تقديم

د. محمد عنانى

الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٣

تصميم الغلاف
والإشراف الفنى: صبرى عبد الواحد

الفهرس

الموضوع	الصفحة
(من أمنية)	
١ - زمان اللؤلؤ	٢٧
٢ - أم الشهيد	٣٠
٣ - عندما رحل عبد الناصر	٣٢
٤ - صيحة عربية	٣٤
٥ - حق الحياة	٣٨
٦ - آهة	٣٩
٧ - جواد عربى	٤١
٨ - إيمان	٤٤
٩ - لون عينيك	٤٦
١٠ - فرحة العيد	٤٨
١١ - وفاء	٥٠
١٢ - نجوى	٥٢

الموضوع	الصفحة
١٣ - ذكريات	٥٤
١٤ - قبلة	٥٦
١٥ - غيرة	٥٧
١٦ - فى الغربة	٥٩
(من إليك يا ولدى)	
١٧ - خداع	٦١
١٨ - أمطرى يا سماء	٦٣
١٩ - حديث إلى نفسى	٦٦
٢٠ - صلاة	٦٨
٢١ - ارفعى المشعل	٦٩
٢٢ - أنا والغيب	٧٤
(من فتافيت امرأة)	
٢٣ - أوراق من مفكرة امرأة خليجية	٧٦
٢٤ - المجنونة	٨٢
٢٥ - فتافيت امرأة	٨٥

الموضوع	الصفحة
٢٦ - إن جسمى نخلة تشرب من بحر العرب	٩٢
٢٧ - كويتية	١٠١
٢٨ - وردة البحر	١٠٦
٢٩ - ڤيتو على نون النسوة	١١٣
٣٠ - من امرأة ناصرية إلى جمال عبد الناصر	١١٩
٣١ - إلى تقدمى من العصور الوسطى	١٢٧
٣٢ - وصل السيف إلى الحلق	١٣١
(من فى البدء كانت الأنثى)	
٣٣ - كهرباء	١٣٩
٣٤ - قراءة غير تقليدية	١٤٠
٣٥ - الديمقراطية	١٤١
٣٦ - أعلى شجرة فى العالم	١٤٢
٣٧ - لا أسمح	١٤٣
٣٨ - إذا	١٤٤
٣٩ - رائحة	١٤٥

الموضوع	الصفحة
٤٠ - تعريف جديد للعالم الثالث	١٤٦
٤١ - يخترع أنبياءه	١٤٧
٤٢ - كيمياء	١٤٨
٤٣ - الميناء الحر	١٤٩
٤٤ - نبوءة	١٥٠
٤٥ - أطول نهر فى العالم	١٥١
٤٦ - حاول أن تخترعنى	١٥٢
٤٧ - وطنى أنت	١٥٣
٤٨ - إجازة	١٥٤
٤٩ - حلم صغير	١٥٥
٥٠ - السفر على الأهداب	١٥٦
٥١ - أمومة	١٥٧
٥٢ - ابتزاز	١٥٨
٥٣ - حلم ١	١٥٩
٥٤ - حلم ٢	١٦٠

الموضوع	الصفحة
٥٥ - حلم ٣	١٦١
٥٦ - حلم ٤	١٦٢
٥٧ - حلم ٥	١٦٣
(من برقيات عاجلة إلى وطنى)	
٥٨ - نقوش على عباءة الكويت	١٦٤
٥٩ - ثلاث برقيات عاجلة إلى وطنى	١٧٠
٦٠ - بطاقة من حبيبتى الكويت	١٧٤
(آخر السيوف)	
٦١ - آخر السيوف	١٧٩
(من قصائد حب)	
٦٢ - قصيدة حب ٤	١٨٤
(من امرأة بلا سواحل)	
٦٣ - عام سعيد	١٨٨
٦٤ - افتراضات	١٩٣
٦٥ - امرأة بلا سواحل	١٩٨

الموضوع	الصفحة
٦٦ - القصيدة السوداء	٢٠٠
٦٧ - درس خصوصى	٢٠٦
(من خذنى إلى حدود الشمس)	
٦٨ - رجل فى الذاكرة	٢٠٨
٦٩ - خذنى إلى حدود الشمس	٢١٥
٧٠ - سأبقى أحبك	٢١٩
٧١ - ليلة القبض على فاطمة	٢٢٥
٧٢ - السمكة تعود إلى بحرها	٢٣٠
(من القصيدة أنثى والأنثى قصيدة)	
٧٣ - الاتفاق	٢٣٨
٧٤ - كُنْ صديقى	٢٤٢
٧٥ - إلى واحد لا ايُسمَّى	٢٤٨
٧٦ - مقدمة	٢٥٢
٧٧ - أحبك حبًا كثيرًا	٢٥٧
٧٨ - قَدَرٌ	٢٦٠

٧٩ - حلم ٢٦٢
٨٠ - أنت أدرى ٢٦٥
٨١ - اعتذار ٢٦٨
٨٢ - فى زحام المدينة ٢٧١

مقدمة

هذا ديوان من دواوين ، أو قل مختارات تمثل الرحلة الإبداعية للشاعرة حتى الآن ، وتتضمن نماذج من شعرها منظومًا ومنثورًا على مدى ما يربو على أربعين عامًا تطور فيها العطاء وتنوع ، وأزهر فيها فأثمر وأينع ، وذاع صيتها فيها على امتداد الوطن العربى الكبير ، وقد حاول النقد الأدبى - على غزارته وعمقه واتساع نطاقه - أن يواكب ركب الإبداع، فكان أول اعتراف بعبقريتها يتمثل فى الترجمة الانجليزية التى قامت بها الدكتورة نهاد صليحة ، عميدة المعهد العالى للنقد الأدبى بأكاديمية الفنون بالقاهرة ، لديوانها **فتافيت امرأة** والتى أصدرتها الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٩٠ بمقدمة للدكتور سمير سرحان ، بالإنجليزيه ، ثم توالت الدراسات عن الشاعرة (فاضل خلف - بيروت ١٩٩٢) عزة ملك (باريس ١٩٩٢) أسمهان بدير الصيداوى (باريس ١٩٩٢) محمد التونجى (الكويت ١٩٩٣) بيار ريشا (باريس ١٩٩٣) أسمهان بدير الصيداوى (بالفرنسية - القاهرة ١٩٩٣) نبيل راغب (القاهرة ١٩٩٣) سعيد فرحات/ بلال خير بك (الكويت ١٩٩٤) فضل الأمين (بيروت ١٩٩٤) محمود حيدر (بيروت ١٩٩٤) عبد اللطيف الأرناؤوط (بيروت ١٩٩٥) برهان بخارى (بيروت ١٩٩٩) إسماعيل إسماعيل مروة

(بيروت ٢٠٠٠) إلى جانب المقالات والدراسات المتناثرة فى بطون الكتب والمجلات السيارة ، وقد تنبه الكثيرون إلى الظاهرة الفريدة التى تمثلها سعاد الصباح باعتبارها امرأة لا تكتب أدبًا نسائيًا بل أدبًا إنسانيًا راقيًا يتخطى حدود التمييز بين الرجل والمرأة ، وإن كان البعض قد شغلته الثورة الفكرية للشاعرة فجنح إلى تأكيد القضايا التى تصدت لها سواء أكانت قضايا المرأة العربية أم قضايا الأمة العربية ، ولهم فى ذلك بعض العذر ، ولكن التركيز على القضايا مهما بلغت ثوريتها يظلم الشاعرة ، فكأنما هو ترجيح للفكر على الفن أو إعلاء لقضايا الحياة على قضايا الشعر ، وليس هذا من الإنصاف .

فالشاعرة تمثل التلاحم الوثيق بين الفكر والفن ، والتواصل العميق بين الحياة والشعر ، ذلك المثل الأعلى الذى حققه كبار الشعراء على امتداد تاريخ الإنسانية ، وهو الذى يتجلى ناصعًا فى دواوينها المتتالية ، ويعلن بكل قوة عما يسميه «ماثيو أرنولد» بالتقاء قوة اللحظة مع قوة العبقرية الفردية ، أو عن التمازج الحميم بين العقل والقلب ، الذى امتدحه ت.س. إليوت فى شعراء مطلع القرن السابع عشر فى انجلترا ، وافتقده فيمن تلاهم من شعراء الكلاسيكية الجديدة. أى إن شعر سعاد الصباح تتشابك فيه خيوط الأفكار مع خيوط الأحاسيس تمازجًا لا يسمح بالفصل والتمييز ، فنرى فى كل صورة هذا القلب الذى يفكر (إذا استعرنا تعبير وردزورث) وذلك الذهن الذى يشعر (بتعبير شلى) فى وحدة متجانسة

تستقى من التراث أنغامه ومن الحياة المعاصرة ملامح ودلالات جديدة منوعة وبالغة الثراء .

شعر الشاعرة إذن هو الرد البليغ على دعاة فصل الفكر عن الفن وهو شعر نابض بهموم الفرد وهموم الأمة ، يتغنى بالحب فى أسمى صوره وأروعها ، وينسج من علاقة الحب نسيجًا مختلف الخيوط والألوان ، زاخرًا بالجديد بل وبالثورى ، متميزًا بنظرات تسمو بهذه العاطفة إلى مستوى الذهن الخلاق ، فهو قوة الحياة لديها ، مثلما هو قوة الترابط والتداخل الذى يصل إلي حد الاندماج والتوحد ، ويركز على التناسق الذى يهب الكون حياته الحقيقية ، ويحقق لحياة الإنسان معناها الحق .

وإذا شئنا إنصاف هذه الشاعرة قلنا إن رحلتها فى الفن رحلة بحث دائب عن المعنى ، وهو بحث يشترك فيه العقل مع القلب - كما قلنا - مثلما يشترك فيه النثر مع الشعر ، ولكنها تجعل من بحثها مجال حركة دينامية تتجاوب أصداؤها فى الصور والأنغام الشعرية التى لا تفترق إلا لتجتمع ولا تنفصل إلا لتتصل ، كأنما هى حركة جاذبة تدفع بالدوائر إلى المركز ، والمركز فى شعرها هو التكامل ، وهو فى شعرها ما تراه المرأة أكثر مما يراه الرجل ، فالمرأة هى الأم بالمعنى الفلسفى ، والزوج أى النصف الآخر بالمعنى العام ، وهى إذن منبع ومصدر ورفيق ترحال ، وهى التى يتحقق فيها الكمال والاكتمال ، وما الاكتمال إلا أحد فروع المعنى الذى تنتهى إليه سبل البحث الشاعرى لدى سعاد الصباح .

ولدت سعاد الصباح عام ١٩٤٢ ، وهى الابنة البكر لوالدها الشيخ محمد صباح الصباح الذى حمل اسم جده الشيخ محمد الصباح حاكم الكويت من عام ١٨٩٢ إلى ١٨٩٦ ، وتلقت علومها الأولية فى مدرسة الخنساء بالكويت وفى ثانوية المرقاب للبنات بالكويت ، واقترنت فى عام ١٩٦٠ بالشيخ عبد الله مبارك الصباح نائب حاكم الكويت والقائد العام للجيش والقوات المسلحة ، وحصلت على شهادة البكالوريوس فى الاقتصاد من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة ، عام ١٩٧٣ ، ثم حصلت على الدكتوراه فى الاقتصاد من انجلترا عام ١٩٨١ ، وكان انشغالها بقضايا المرأة قائمًا منذ البداية إذ كان عنوان رسالتها بالانجليزية عن التخطيط والتنمية فى الاقتصاد الكويتى يتضمن دراسة دور المرأة ، كما كانت أولى دواوينها تفصح عن التمازج (الذى برز بوضوح وجلاء فى أعمالها التالية) بين صوت الفرد وصوت الأمة ، فأصدرت فى صدر شبابها - ولما تبلغ العشرين - ديوان **ومضات باكرة** (١٩٦١) **ولحظات من عمرى** (١٩٦١) ولم تلبث أن أصدرت ديوانًا آخر قبيل دراستها الجامعية هو **ديوان من عمرى** عام ١٩٦٤ .

وسطعت موهبتها الشعرية أثناء الدراسة الجامعية إذ تبلور حسها المرهف وتوهج ، فأصدرت ديوان **أمنية** (١٩٧١) الذى جمعت فيه قصائد تنبئ عن مولد عبقرية شعرية فريدة ، وتفصح عن صوت أصيل متميز ، فى وقت كان «الشعر الجديد» فى الوطن العربى يمر بمرحلة حاسمة ، إذ

كانت حركة هذا الشعر قد توقفت عند «البحور الصافية» أى التى تعتمد على تفعيلة واحدة متكررة ، وشاع الرجز وهو البحر الذى يقترب كثيراً من النثر لكثرة زحافاته وعلله وازدهر الخبب الذى يعتبر الصورة الحديثة للمتدارك (أو المحدث) الذى أثبت الدكتور أحمد مستجير فى كتابه **مدخل رياضى إلى عروض الشعر العربى** (١٩٨٤) أنه بحر تقوم موسيقاه على وحدة السبب ، و' السبب' - كما هو معروف - هو أبسط العناصر الإيقاعية ، لا على وحدة التفعيلة التى تتكون من أسباب وأوتاد وفواصل مما جعله يقترب كثيراً من النثر أيضًا ، كما اتسمت تلك الفترة بظهور من ثاروا على الأوزان التقليدية ودعوا إلى ألوان من التجديد لا تكاد تقبلها الأذن العربية ، فإذا بالشاعرة تجمع فى هذا الديوان بين البحور الصافية والبحور المركبة، فكان من الأولى بحور الرَّمَل والكامل والرَّجز والمتقارب ومن الأخيرة بحور السريع والخفيف والمجتث والبسيط ! وهى جميعًا ممثلة فى هذا الديوان الجديد ! ولئن قال قائل إنها كانت فى هذا الديوان تروض الشعر حتى يسلس لها قياده فلقد نجحت وراضته حقًا ، وإنك لتسمع فى هذا الديوان أصداء أنغام أمير الشعراء شوقى مثلما تسمع أصداء المتنبى ، وتلمح فى هذا وذاك قوة الصوت الجديد الذى انضم إلى سيمفونية الشعر العربى الخالدة .

وتوالت بعد ذلك دواوين الشاعرة التى أثبتت قدرتها فى التعبير وفى التصوير وفى البناء المحكم فانطلقت حتى فى غمرة حزنها على فقدان ابنها

(فى ديوان **إليك يا ولدى** - ١٩٨٢) تتغنى بالبحث عن المثل الأعلى ، ناشدة الكمال والاكتمال ، حتى جاءت ثورتها التى ألهبت الأكف بالتصفيق لها على امتداد الوطن العربى حين أصدرت ديوانها الثورى **فتافيت امرأة** عام ١٩٨٦ ، وهو يضم لأول مرة قصائد منثورة إلى جانب القصائد المنظومة ، فكأنها كانت تعلن التمرد على قوانين النظم التى وضعها «الرجل» ، وهو التمرد الذى بلغ أوجه فى آخر دواوينها المطبوعة وهو **القصيدة أنثى والأنثى قصيدة** (١٩٩٩) ! وقد يكون من قبيل المصادفة أن يبدأ هذا «التمرد الغروضى» مع التحول المعروف فى حركة تمرد المرأة المعروفة باسم الحركة النسوية الجديدة فى العالم ، وهو التحول الذى جعلها تحوّل العناصر السلبية (أى عناصر الاعتراض على أوضاع المرأة فى المجتمع) إلى عناصر إيجابية (تتجلى فى الإبداع الأدبى النسوى) ولكن الباحث المدقق سوف يجد أن للتمرد جذوره الفنية العميقة ، فقصيدة النثر الجديدة تكسر النظم عمدًا وفى مواقع محددة لتغيير نقاط التركيز الشعرى، وخير مثال على ذلك قصيدة «أوراق من مفكرة امرأة خليجية» (رقم ٢٣ فى هذه المجموعة) المكتوبة عام ١٩٨٣ ، فهى تبدأ بما يشبه الرجز ثم تكسر الإيقاع عمدًا حتى تكسر الرتابة :

أنا الخليجية

التى يمر من بين شفتيها خط الاستواء

وعلى خيطان دشداشتها

تتجمع مراكب النواخذه

ولقالق البحر

ونجوم الصيف المتساقطة

من حدائق الله

وكان يمكن للشاعرة أن تحافظ على انتظام الإيقاع بأيسر السبل ، كأن تقول مثلاً :

أنا الخليجيةْ

أنا التى يمر من بين

شفتيها خط الاستواء

أو على خيطان دشداشتها . . . إلخ

ولكن الانتظام هنا يمكن أن يتناقض مع الجرأة الصارخة فى نسج الصور الجديد التى سرعان ما أصبحت سمة مميزة لهذه الشاعرة المبدعة ، والأبيات المقتطفة هنا تتضمن عدداً من هذه الصور بأسلوب فريد ، فهى تمزج فى قصائد هذا الديوان بين لغة عالم اليوم ، لغة أجهزة الإعلام والمصطلح السياسى ، وبين اللغة الشاعرية التقليدية بطريقة غير معهودة فى الشعر العربى ، وربما لم يكن ذاك ممكنا دون تعمد التمرد العروضى .

ويعتبر الكثيرون ديوان **فتافيت امرأة** (١٩٨٦) دستور الثورة النسائية، بسبب ما يتضمن من إبراز مشاعر المرأة التى ظلت دهوراً حبيسة الصدور

تمنعها أعـراف «القبيلة» ، كمـا تقول الشاعرة ، من الظهـور ، وقد يكون ذلك هو السبب فى مـا حظى به الديوان من شهـرة ، ولكننا نظلم الديوان ونظلم الشاعرة إذا قصدنا تقديرنا له على «الرسالة» التى يحملها ، فالديوان ثورى فى المصطلح الشعـرى وفى دقة النسج التى تجعله دستور لغـة شعرية جديدة تمزج بحذق بين القديم والجديد ، وتعتمد على النقلات الجسورة فى البناء وصـولاً إلى مـا يسمى بالـتأثيـر التـراكمى ، وهـو مذهب المدرسـة الانطباعية فى الفن ، وهى من مدارس الحداثية الراقية فى القرن العشرين ، والديوان ثـورى أيضًـا لأنه يثور على لغـة الكلام نفسـها ويدعـو إلى لغة الفـعل ، من خـلال توحّد الفـرد مع الأمـة ، ولا أدل على ذلك من رنة الغضب الجائحة فى القصيدة التى تختتم الشاعرة بها ديوانها «وصل السيف إلى الحلق» .

إنها قـصيدة مـذهلة ، فهى شـعر يثور على الشـعر ، ويتـوسل بلغة التراث التى تستـقى إلهامها من القرآن العظيم فى إدانة مهـرجان شعرى بدا للشاعرة أنه صورة صادقة لما آل إليـه حال العرب الذين لم يعودوا يتخطون القول إلى الفـعل ، مع إيمانها الكامل والعمـيق برسالة الشعر والشـاعر ، فهى تثور على مفارقة قائمة ، بإبداع قصيدة تحكى تلك المفارقة ، خصوصًا فى الإشارات القـرآنية البديعـة ، فهى تمزج فى خيالهـا تعبيـر «بلغ السيل الزبى» بتعـبيـر قرآنى ﴿ **فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ** ﴾ (الواقعة - ٨٣) لتخرج «وصل السيف إلى الحلق» (وكان يمكنهـا أن تقول «إلى العنق» أو «الرقبة»)

ولكن الحلق يأتى بدلالات الآية الكريمة التى لا تلبث أن تدعمها أصداء آية أخرى هى ﴿يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ﴾ (الشعراء - ٢٢٦) وآية ثالثة هى ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف - ٣) مما يجعلها تصرخ ما الذى نفعل فى المربد ؟؟ وهو سؤال إنكارى تتلوه صرخة أخرى :

يا زمان الصرف والنحو شبعنا عبثًا . . .

أعطنى سيفًا

وخذ منى دواوين جميع الشعراء . .

وصل السل إلى العظم

وما زال لدينا شعراء يكذبون

ويقولون على الأوراق ما لا يفعلون !

. . .

فاعلاتن فاعلاتن فاعلات

رملٌ فى رملٍ فى رمل

إنها معركة الوزن

فمن يرفع عن أعناقنا سيف الرنين

وصل القئ إلى الحلقوم

فليسقط جميع الناظمين !

وتتكرر فى القصيـدة أصداء القول العارى عن الفـعل ، والشاعرة فى سورة غضـبها تلقى باللائمة على «الوزن» الذى أصـبح «سيف رنين» بدلاً من أن يكون الصـارم المصقـول ، ولكنهـا تعود إلـى الشعـر الذى تراه ابنا للكبرياء كى تختتم به القصيدة والديوان :

أيها الشعر الذى

يحرق بالكبريت أشجار السماء

الذى يأكل من قلبى صباحًا ومساء

الذى يحفرنى حتى العياء

كيف ترضى موقف الذل

أليس الشعر ابن الكبرياء ؟

وقد يكـون غضبـها من النظم غـضب شاعـر لا يرى فى «الرنين» إلا الخواء ، وهكذا كان ديوانها التالى **فى البدء كانت الأنثى** (١٩٨٨) قصائد منثورة من نوع أدبى عالمى هـو «الإبجرام» ، وهو نوع يعتمد على التـركيز الشـديد ، بحيث تنـضغط كل صـورة فى شكل مـرسوم بدقـة أو فى بناء محكم قـد يصل إلى طول «السونيت» الأجنبيـة ، وقد يتخـذ شكل البيت

الواحد أو البيتين ، وهو الشكل الذى عرفته الآداب القديمة (اليونانية واللاتينية والعربية) ومن النوع الأخير نوع موزون مثل المثال التالى (من الكامل) :

لم يبق لى وطن أعود إليه

فاجعل من ذراعيك الوطن

هم صادروا زمنى

فأصبحت الزمن

ونوع غير موزون :

اتركنى نائمة خمس دقائق

على كتفيك

حتى تتوازن الكرة الأرضية

وسوف يلاحظ القارئ أن السطر الأول فى المثال الأخير من الخبب والثانى من الوافر والثالث يتضمن تفعيلتين من الخبب فى البداية ، تتلوها تفعيلة وافر ثم دقات خبب ! أى إن الشاعرة حين تثور على الوزن لا تفعل ذلك بصورة مطلقة ، ولكنها تمزج هذا وذاك بأسلوب فنى دقيق ، مثلما تنتقل هنا من الخبب إلى النثر الصريح :

أحيانا

يخطر لى أن ألدك

لأحممك

وأنشف قدميك

وأمشط شعرك الناعم

وأغنى لك قبل أن تنام !

وأجمل ما فى هذا الديوان هو «النغمة» (tone) التى تتراوح بين الجد فى بعض القصائد وبين الروح الفكهة فى البعض الآخر ، وهى من سمات فن الإبجرام الأصيل :

حلمت ليلة أمس

بأننى أصبحت سنبلة

فى برارى صدرك

خفت أن أقص عليك الحلم

حتى لا تأخذنى إلى خباز المدينة

فيحولنى إلى رغيف ساخن

وتأكلنى !

ولكن الأحداث العامة ما فتئت أن عادت بالشاعرة إلى بحورها حين تعرض الكويت للعدوان ، فكتبت قصائد فى **برقيات عاجلة إلى وطنى**

(١٩٩٠) تسمو بها إلى مصاف الشعراء العظام ، بسبب ما يطلق عليه النقاد مصطلح «النغمة» فالشاعـرة هنا لا تنسى أن المعتدى عربى ، وأن ما حدث مناف للطبيعة ، مما يجـعل موقفها موقفًا يجـمع بين رباطة الجأش والثقة ، ولمسات العتـاب الحانية ، ورنة الاعتزاز بالنفس المسـتقاة من الإيمان بالواقع والتاريخ :

يا من زرعتم فى ضلوع شعبى الرماح
كيف بوسع عاشق أن يرفع السلاح
فى وجه من يحبهم
كيف بوسع العين أن تقاتل الأجفان !

. . .

فلملموا خيولكم وانسحبوا
ولملموا أشياءكم وانصرفوا
لا أحد يقدر أن يغير التاريخ
أو يستعمر الأرواح

وفى غمرة هذا القلق الذى ينبع من مفارقـة لا يكاد يصدقها العقل ، تفجع الشاعرة بموت زوجـها فتكتب قصيدة رثاء تمزج فيهـا حزنها على ما جرى للكويت بحزنها على فقدان الحبيب ، فكأنها ما كادت تحتفل «بصباح

النصر» حتى بكت فقدان الزوج ، فجاءت قصيدة رثاء من نوع جديد ، ولا شك فى أن قصيدة **آخر السيوف** (١٩٩١) كانت بمثابة الامتزاج الأمثل بين الحزن الفردى وصوت الجماعة ، ولو لم تلبث الشاعرة أن عادت إلى أنغامها المتمردة ، فأخرجت **قصائد حب** (١٩٩٢) اخترنا منها القصيدة الرابعة التى تمثل المجموعة فى روحها ونسيجها ، فهى منثورة تمردًا وقلقًا ، وربما يستطيع علماء النفس أن يربطوا بين العودة إلى النظم فى ديوان **امرأة بلا سواحل** (١٩٩٤) وبين مرحلة النضج الذى أتى نتيجة الأهوال التى تعرضت لها الشاعرة وتعرض لها الوطن العربى كله من جراء عدوان ١٩٩٠ ، وما دمنا نتحدث عن النضج فلابد من اقتباس أبيات من مطلع «القصيدة السوداء» حتى يدرك القارئ خط التطور الذى وصل إلى ذروته هنا :

كم غيرتنى الحرب .. يا صديقى

كم غيرت طبيعتى

وغيرت أنوثتى

وبعثرت فى داخلى الأشياء

فلا الحوار ممكن

ولا الصراخ ممكن

ولا الجنون ممكن

فنحن محبوسان فى قارورة البكاء

وتخرج الشاعرة من هذه «القارورة» دون شك ، ولو بعد معاناة شديدة ، فتخرج ديوانًا آخر هو **خذنى إلى حدود الشمس** (١٩٩٧) تستعيد فيه مواقفها الثابتة ونغماتها الأصيلة ، وأخيرًا تصدر مختاراتها الشعرية **القصيدة أنثى والأنثى قصيدة** (١٩٩٩) ولا تزال الشاعرة تخرج لنا إبداعاتها الرائعة، ولو أننا لا نستطيع أن نتنبأ بالتطور المنتظر فى إنتاجها الشعرى.

وبعد فهذه مختارات من عشرة دواوين مرتبة ترتيبًا زمنيًا قدر الطاقة بمعنى فى حدود ما نعرف عن تواريخ التأليف والنشر ، وليس الهدف هو تقديم صورة للتطور الزمنى بقدر ما هو رصد للرحلة الفنية المثيرة التى قطعتها الشاعرة على امتداد أربعين عامًا من العطاء المتواصل المستمر ، وفى الشعر نفسه ما يغنى عن النقد والتعليق ، ولذلك نكتفى بهذه العجالة .

محمد عنانى

١ - زَمَانُ اللؤْلُؤْ

فى بِلادى ، فى مَغَانى أرْض أجْدَادى الجميلهْ
فىْ البوَادى . . . بعد أجْيَالٍ من الصّفوِ طَوِيلهْ

ذَاتَ يَوْمٍ . . . هَبَطَ السَّاحرُ من ماء السَّماءْ
فكسا بالذَّهَب الأَسْوَد أرْض الصَّحرَاءْ . .

ورَآهُ القومُ . . . واستَغرَقَهُم هذا البَرِيقْ
فتَناسَوْا أنَّهمْ جاؤوا من البَيْت العَتِيقْ •

أنّهم جاؤوا وفى جُعْبتهم خَيْرُ عَتَادْ
من تقَاليدَ ، وأخْلاقٍ ، وحُبٍّ للجِهَادْ

وتَناسَوْا لَذَّة الكَدِّ وأيَّامَ الأَرَقْ
وتناسَوْا لُقْمةَ العَيْش يُزكّيها العَرَقْ

والسُّرَى فى زَحمْة الأَمواج ، فى وجْهِ الرِّياحْ
وكِفَاحَ البَحْر . . . ما أعْظمَه هذا الكِفَاحْ

والصَّوارِى رَافعاتٍ فى الوَرَى أشْرَف بَنْد
وعناءَ الرَّحَلات الهُوجِ ، فى هِنْدٍ وسِنْد . . .

يا لأَجدادِى . . . وكَمْ أودَى بهم طولُ الطَّرِيقْ
فى سَبِيلِ المَجْدِ ، ما بين شَهِيدٍ وغَرِيقْ

يا لَهُمْ ، واللؤْلوُ المكنُونُ فى جَوْف البِحَارْ
لم يَزَلْ يسألُ عنهم ، كلَّ ليلٍ ونهارْ

لم يَزَلْ فى شُعَبِ المَرْجَان حيًّا ودَفِينْ
فى قَرارٍ لم تَطَأْهُ قَدَمٌ مُنْذُ سِنِينْ

هَاتِفًا : مَاذَا دَهَاكُم يا بَنِى الجيل الجَدِيدْ ؟
فَقَنِعتُم بالرَّغيفِ السَّهْلِ والعَيْشِ البَلِيدْ

وقَعدْتُمُ عَن طِلابى ، وزَهدْتُم فى حيَاضى
أتَرَوْنَ الذَّهبَ الأَسْوَد أصْفَى مِنْ بَيَاضى ؟.

فى بِلاَدِى . . . فى مَغَانى أرْض أجْدَادى الجَميلهْ
لى حِكَاياتٌ ، وآياتٌ ، وأبْيَاتٌ طَوِيلهْ

سوفَ يَرْوِى سِرَّها الأَطفالُ للأَجْيَال عَنِّى
وعَنِ اللؤْلؤِ والمَرْجَانِ فى العَهْدِ الأَغَنِّ

وعن الغَوَّاصِ لا يعرفُ ما لونُ الهمومْ
وهو يَهْوى فى دجى البحر ، ويصطادُ النجومْ

لِيُسَوِّيها عُقُودًا فى صُدورِ الغَانياتْ
تَمْلأُ الأَيَّامَ نُورًا وتُضيءُ الذِّكْرَياتْ

هكذا ينتحرُ الخيرُ وتبقى الذكرياتْ
يا زَمَان اللؤْلؤ الحُرِّ . . . زمانُ الحُرِّ فاتْ

٢ - أمّ الشَّهِيْد

رَأيتُها مُلتفَّةً بالسَّوادْ
فى وجْهِهَا مَلْحمةٌ مِن حِدَادْ
مَقْروحةَ الجَفْنِ على فِلْذَةٍ
من كِبْدِهَا الحَرَّى طَوَاها الرَّمادْ
تَشْكُو إلى الله جِراحَاتِها
بِآهَةٍ تخْلَعُ قَلْبَ الجَمَادْ
فى لَيْلةِ العِيدِ تَهَاوَى ابْنُها
مُسْتَشْهَدًا فى غَمَرَاتِ الجِهادْ
ولَمْ تَزَلْ نَجْواهُ فى سَمْعِها
ولمْ تزَلْ صُورتُهُ فى الفُؤادْ

سَألْتُها عَنْه فقالتْ : فتًى
مُلتهبُ العَزْمِ ، كَرِيمٌ ، جَوادْ
لَمَّا دَعَا للثارِ دَاعِى الحِمَى
وهبتُهُ لله . . رَبِّ العِبَادْ

فَراحَ ملْهوفًا عَلَى حقِّه
مؤرَّقَ النوم ، عنيدَ الوِسادْ
يُطهِّرِ الأرْضَ مِنَ الْمُعتدِى
ويفْتَدِى بالرُّوح حَقَّ البِلاَدْ
هَبَّ مَعَ الأَبْطالِ فى جَمعِهمْ
يهْتِفُ بِالعَوْدةِ فى كُلِّ وَادْ
وخَرَّ فى السَّاحةِ مُسْتَشْهَدًا
يُردِّدُ الصَّيْحَةَ بَيْنَ الوِهَادْ :
لا تَتْرُكوا السَّيْفَ على غِمْدِه
فَتارِكُ السَّيْفِ عَدوُّ الرَّشادْ
وقبِّلُوا المِدْفَع يثْأَرْ لكُمْ
ولا تُبالُوا بالليالى الشِّدادْ
حتَّى تعُودَ الأَرضُ صَفْوًا لَنَا
ويرْجعَ الكُوخُ ، ويحْلُو الرُّقَادْ
ويَسمّعَ اللَّيلُ أغَارِيدَنا
فى مُلتقَانَا ، فى لَيالى الحَصَادْ
ويفرَحَ الله بنَا عِنْدمَا
تَزُول أُسطورةُ أرْضِ المَعَادْ . .

٣ - عِنْدَمَا رَحَلَ نَاصِرْ

مِصرُ يا أُمِّى ، ويا هَمِّى ، ويا خَيْرَ المِهادْ
لِمَنِ الصَّرْخةُ فى اللَّيل دَوَتْ فى كلِّ وادْ ؟ .
لِمَنِ الدُّنْيا ادلهمَّتْ ، وكسا الشمسَ السَّوادْ ؟ .
وارْتَدَى الصُّبحُ عَلَى مشْهَدِهِ ثَوْبَ الحِدَادْ ؟ .
لا تَقُولى : أسْلَمَ النَّاصرُ للموْتِ القِيادْ
بَعْد أنْ كان مُنَى العُرْبِ ، وآمَالَ البِلاَدْ
لا تَقُولى : تَعِبَ السَّاهدُ مِنْ طُولِ السُّهادْ

إنَّه كان على أيَّامِنَا خيرَ عَتَادْ
لا تَقُولى : سَقَطَ الفَارِسُ عن ظهْرِ الجَوادْ
وسَجَا الحُلْمُ المُرَجَّى ، وَهَوَى الصَرحُ ومَادْ
إنَّهُ كان لنَا النَّبْضَ الّذى يغْذُو الفؤَادْ
إنَّه كان الذى علَّمنا مَعْنى الجِهادْ
بِيَدٍ تبنى وتُعْلِى . . . ويدٍ فوْق الزِّنَادْ

كان أُنشُودةَ حبٍ ، ووفاءٍ ، ووداد
كان أُحْدوثةَ خيرٍ ، لم تَزِدْ من عَهْدِ عَادْ
كان أُسْطُورةَ مَجْدٍ ما رَوَتْها شَهْرزادْ
سَوْف يبقَى فى حَنَايانَا إلى يَوْمِ المعَادْ

إرْوِ يا تاريخُ عنهُ ، أنَّه بالرُّوح جَادْ
فى سَبيلِ الله ، والخيرِ ، وإنْقاذِ العِبَادْ
إرْوِ عنْهُ . . وهو عنْدَ الله فى أعْلَى وِسَادْ
أنَّه استُشْهِدَ كى يُصبحَ للجُرْحِ ضِمَادْ
بَاذِلاً فى جهدِه من دَمِه الغَالى مِدَادْ
لِوفَاقِ العُرْبِ بعدَ المِحَنِ السُّودِ الشِّدادْ
أنَّه قَدْ عَبَرَ الدَّرْبَ على شَوْكِ القَتَادْ
ليرُدَّ الفِتْنَةَ الكُبْرى إلى نَهْجِ الرَّشادْ
إرْوِ عنْهُ . . أنَّه قَرَّبَ أيَّامَ الحَصَادْ
لِقيَامِ الوَحْدَةِ الكُبْرى . . وتَحْقيقِ المُرَادْ
سَائرًا فى دَرْبِ عَمْرٍو . . وطَرِيقِ ابنِ زيَادْ . .

٤ - صَيْحَةٌ عَرَبِيَّة

أجِّجُوا الحِقْدَ أيُّها الأَشْقِيَاءُ
لم تَمُتْ فى عُرُوقِنَا الكِبْرِياءُ
من حَنَايَا عُروبتى رَضَعَ المجْدُ
وَكَانَ العُلاَ ، وهَانَ الفداءُ
أنَا أُمِّى الغرَّاءُ فاطمةُ الزَّهْراءُ
وأُختى العظيمةُ الخنساءُ . .
وأبى يَعْرُبُ الَّذى بَارَكَ الأرضَ
وقَامتْ فى ظلِّه الأَنْبِيَاءُ . .

وأخى قاهرُ الغُزَاةِ الصَّليبيِّين
يا ليت تَنْطِقُ الأَشلاءُ . .
وديارِى مَبْرورةٌ بالضَّحَايا
ولِداتى الأَبْطالُ والشُّهداءُ

هؤُلاءِ الكرامُ قَوْمِى ، فقُولُوا
مَنْ هُمُو قومُكمْ ؟ . ومنْ أيْنَ جاؤوا ؟ .
مَنْ أبُوكم ؟ . من أُمُّكُم ؟ . مَنْ ذَوُوكُم ؟ .
أيْنَ تاريخكُم وأيْن البِنَاءُ ؟ .
خَيرُ أَسْلافِكُم ذَرَتْهُ السَّوافِى
وطَوَتْهُ فى تِيهِهَا سِينَاءُ . .
هكذَا أدْبَرُوا فلَمْ يَبْقَ منْهُم
بَعْدَ مُوسى . . . فكُلُّكُمْ لُقَطَاءُ

أيُّهَا العالقُونَ فى ذَيْلِ أمْرِيكا . .
وبالدُّونِ يَعلَقُ الأَدْنِيَاءُ . .
كَمْ بِتدْبيرِهَا تَهاوتْ حُقُوقٌ
وسَرَتْ فِتْنَةٌ ، وعَمَّ البَلاءُ
كَمْ على نَارِها تلَظَّتْ شُعوبٌ
واستُبيحَتْ أَطْفَالُها والنِّساءُ
غيْرَ أنَّ الرَّحَى تَدورُ على البَاغِى
وبَعْدَ الصَّباحِ يأْتِى المَسَاءُ . .

انْظُروا ما يُصيبُها فى فِيتْنامَ
تَرَوّا كَيْفَ يَصْمُدُ الضُّعَفَاءُ . .
وانْظرُوا السُّودَ جَائعينَ . . ولكنْ
هم بتأْييدِ ربِّهم أَقْوِياءُ . .
يا بِلادَ الهَوَانِ ، يا أُمَّ صهْيونَ
وبالأُمِّ يُعْرَفُ الأَبْنَاءُ . .
يا بِلادَ المُهَاجِرينَ ، ومنْهُمْ
جاءنَا الضَّائعُونَ والدَّهْماءُ
أنْتِ أرْسلتِهم لإنْشاءِ مُلْكٍ
فى بِلادى ، قِوامُهُ الغَوْغَاءُ
أنتِ حَرّضتِهم عَلَى نَزْعِ أرْضى
حَسْبِىَ اللهُ . . . إنَّ أَرْضى سَماءُ
باركَتْها المقدَّساتُ العَوَالى
ومَشَى فى ظِلالها الأَنْبِياءُ
زَيْنُ أَيَّامِها بشَارَةُ عِيسى
ومَصَابِيحُ لَيْلِها الإسْرَاءُ
غَالَها حَارِقو المَسَاجِدِ غَدْرًا
فاتْرُكِى العِرْقَ ، وانْفِرِى يا دماءُ

غَالَها سارقُو الكنائس جَهْرًا
فَدَعِ الصَّمتَ ، وانتفضْ يا إباءُ

أصْدقَائى ، مِنْ كِلِّ أرْضٍ ولَوْنٍ
نحنُ للثأْرِ ، أَيُّهَا الأَصْدقَاءُ
إشْهَدُوا ما تَخُطُّه يَدُ أَمْرِيكا
وتلْكَ الرَّبِيبَةُ النَّكْرَاءُ . .
واشْهدُوا أَنَّنا سَنَثْأَرُ للهِ
ولله كَمْ يهُونُ الفدَاءُ . .
ويُباهِى بِنَا النَّبِىُّ ، ويَرْضى
البَيْتُ عنَّا والقُبَّةُ الغرَّاءُ . .
وتَعُودِينَ يا حَبِيبَةُ ، يا قُدْسُ . .
ويَرضَى المَسِيحُ والعَذْراءُ
ولنَا نَاصرٌ منَ الله . . . إنَّ الله
يَجزِى بنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ . .

٥ - حَقُّ الحَيَاة

وَيْلُ النِّساءِ مِن الرِّجالِ إذَا استبدُّوا بالنِّساءْ
يبْغُونهنَّ أَدَاةَ تَسْلِيةٍ ، ومَسْأَلَةَ اشْتِهاءْ . .
ومَراوِحًا فى صَيْفِهم . . . ومَدَافئًا عَبْرَ الشِّتاءْ
وسَوائمًا تَلِدُ البَنِينَ لِيُشبِعوا حُبَّ البَقاءْ
ودُمًى تُحرِّكُها أَنانيةُ الرِّجال كما تَشَاءْ
وتَذِلُّ للرَّجُلِ الإلهِ كأَنَّه ربُّ السَماءْ . .
مَا دَامَ يمنحُها المؤُونَة ، والقِلادَةَ ، والكِسَاءْ
لا . . لَنْ نَذِلَّ ، ولنْ نَهُونَ ، ولن نفرِّطَ فى الإِباءْ
لَقد انْتَهى عَصْرُ الحَرِيمِ وجَاءَ عَصْرُ الكِبْرِياءْ . .
وجَلاَ لَنَا حَقَّ الحياةِ ، فكلُّنَا فيه سَواءْ . .

٦ - آهَةٌ

قَلْبى تميمةُ حُزْنٍ
مَقْرونةٌ بالسَّوادِ
ونظْرَتى بِنتُ يأْسٍ
وبَسْمَتِى مِنْ حِدَادِ
وناظراى ضِفَافٌ
يرسُو عليها سُهادِى
وزَوْرَقى ليسَ يرْسُو
فكُلّ يومٍ بِوَادِى
أَوّاهُ لو ذُقْتَ مثْلى
عَذابَ كأْسِ البِعَادِ
إذنْ لهالَكَ أَنِّى
أَعيشُ والدَّمْعُ زَادِى
بِحُرْقَةٍ فى عُيُونى
وخِنْجرٍ فى فُؤادِى

فإنْ رأيتَ ابْتسَامى
فالنّارُ تحْتَ الرَّمادِ
وكُلُّ آهةِ لَيْلٍ
تُذيبُ قلْبَ الجَمَادِ

٧ - جَوَادٌ عَرَبِيّ

إنَّ فى قَلْبى جَوَادًا عربيًّا
عَاشَ طُولَ العُمْر فى الحُبِّ أَبِيًّا
فإذَا عاندْتَهُ ، ألْفيتَهُ
ثَارَ كالمَارِدِ جَبَّارًا عَتِيًّا
وإذَا لا ينتَهُ ، أَلْفيتَهُ
بَاتَ كالطِّفْل رَقيقًا ، وحَيِيًّا ..
لَمْسةٌ تَجرَحُ منْ عِزَّتِهِ
يَسْتحِيلُ الطِّفلُ وحشًا بَرْبَرِيًّا
هَمْسةٌ تَأْتِيهِ عن غَيْر رضًا
يَمْلأُ الكونَ ضَجيجًا ودَوِيًّا
هكذا قَلْبِى الَّذى أُكْبِرهُ
عَاشَ فيه الدَّمعُ مكْتُومًا عَصِيًّا

مِرْجَلٌ يَغْلى بُخَارًا ثَائِرًا

وأَنَا أَكْتمهُ فى شَفَتَيَّا . .

هكذَا قَلْبى كما روَّضتُهُ

هكذَا عَاشَ كَرِيمًا وشَقِيًّا

فإِذَا ما شِئْتَ أَنْ تُسْعِدَنى

فاسْقِنِى الحُبَّ ، حَنَانًا سَرْمديًّا.

إِجْمَعِ الأَشْوَاقَ من نُورِ الضّحَى

وابْنِ لى مِنْ نَسْجها عُشّاً هنِيًّا

وأَنِلْنى قُبَلاً مَعْسولَةً

أَتَّخذْ منها عُقُودًا وحُلِيًّا

وأَنا أَغْزِلُ شَعْرِى بُرْدَةً

تبعَثُ الدِّفْءَ حواليكَ شَهِيّا

وأُحيّيكَ بشِعْرى نَغَمًا

رَائقَ الأَوْتَارِ سَلْسالاً شَجِيًّا

وبِرُوحِى وخَيَالِى أَبْتَنِى

فى الحَنَايَا لَكَ فِردَوْسًا جَنِيًّا

لا تعانِدْنى . . فأغْدو حُمَمَاً

تَهْدِمُ الدُّنْيا عَلَيْك . . وَعَلَيَّا

لا أُبَالى ، إن تحطَّمتَ مَعِى . .

ودَفَنَّا قِصَّةَ الحُبِّ سَوِيًّا

فحنَانَيْكَ . . . وحاذِرْ غَضْبَتِى

إنَّ فى قلبِى جَوَادًا عَرَبِيًّا . .

٨ - إيمَانْ

يُحبُّ أَن يلْمحَ شِعْرى كالرَّبيع مُزْهِرَا
وكالصَّباحِ مُشرقًا . . . وكالرِّياضِ أَخْضَرَا
وكالغنَاء مُسْعدًا . . . وكالسُّلاف مُسْكِرَا
وكالشُّعاعِ ضَاحِكًا . . . وكالنُّجومِ نَيِّرَا
لا يطْبعُ الحُزنُ عليه سِمَةً أَو أَثَرَا
يُحبُّه مدلَّلاً . . . منمَّقًا . . . معطَّرَا
يريدُه مُزَغْردًا . . . مهلِّلاً . . . مُسْتَبشِرَا
يقولُ لى : أنتِ من الضِّياء أَصْفَى جوْهَرَا
وأَنتِ أَنْقَى من مَلائك السَّماء عُنْصرَا
ففيمَ هذه الدموعُ تستحيلُ أَنْهُرا
وأَنتِ أَحْلَى ما جلا الله لنا وصوَّرَا
فلْتطْرحى من قَلْبك العَناءَ والتَطيُّرَا
وتَنْظُرى لليأْسِ نظْرةَ النُّجومِ للثَّرَى
وتُطْلِقى فى شِعْرِكِ السَّلاَمَ والتَّحرُّرَا

وتَزْرَعى فى ضَفَّتَيْهِ الأَمَلَ المنوَّرَا
وتجْعلى الفَرْحَةَ فى رُباهُ تَجْرى كوْثَرَا
وتَنْشُرِى لحْنَ الهوَى على السُّفوحِ والذُّرَى
قُولى لمنْ كانَ هَواكِ وهواهُ قَدَرَا
أُحبُّكَ الحبَّ الَّذى تريدُه وأكْثَرا
أَقُولها وأَزْدهى بقولها بينْ الوَرَى
فإِنَّمَا الحبُّ منَ الإِيمَانِ إنْ تَطَهَّرَا
يُبارِكُ اللهُ به الأَرْضَ ، ويَهدِى البَشَرَا

٩ - لَونُ عَيْنَيك

أَىُّ نهْرٍ فى رُبَى عَيْنيكَ يَجْرى ؟ أَىُّ كَوْثَرْ ؟.
أَىُّ نُورٍ فيهمَا يبْدُو لَعينىَّ . . . فأُبْهَرْ ؟.
أَىُّ نَارٍ فيهمَا تَجعْلُ قَلْبى يَتَبَخَّرْ ؟.
أَىُّ كأْسٍ فيهمَا تَنْسابُ فى رُوحِى فأَسْكَرْ ؟.
أَىُّ سَهْمٍ فيهمَا يجْعَلُ كِبْرى يَتكَسَّرْ ؟.
أَىُّ لَوْنٍ يَتجلَّى فيهمَا ؟ . . الله أَكْبرْ !!
أَىُّ فكْرٍ فيهمَا غَامَ على الفكْرِ وحيَّرْ ؟.
كُلَّمَا قاومْتُهُ . . . أَلفيتُ خَطْوِى يَتعَثَّرْ
وإذَا أَزْمعتُ هجْرانَكَ أَدْنُو منكَ أَكْثَرْ
كيْفَ آمنْتُ بمَنْ يعْبَثُ بالحُبِّ ويكْفُرْ ؟.

آه مَنْ لَيْلِى ومن وَيْلِى ، ومنْ هذا المُقدَّرْ
يَطلُعُ البَدْرُ على الأَنْجُم فى اللَّيل ويسْهَرْ
ويُواليها بنُورِ الشَّوْقِ حتَّى تَتبلْوَر

أَىُّ سحْرٍ يجذبُ البَدْرَ إليهَا حِين تَخْطُر ؟.
أَتُراها كحَّلتْ باللّيلِ جَفْنيْها لتسْحَرْ ؟.
أَنا مَنْ كحَّلَنِى السُّهْدُ ، وبَدْرِى ليْس يَشْعُرْ
ليْتَنى فى لَيْلِ بَدْرِى نَجْمةٌ فى الأُفْقِ تَظْهرْ
عَلَّها تَلْقَى شُعَاعًا بسَنَاهُ تَتَنَّورْ
وترى الحُلْمَ يَقينًا . . . وترى العَالَمَ أَخْضَرْ . .

١٠ - فَرحَةُ العِيْد

عِيدِى غَدًا ، وأَمِيرى لَيْس يَنْسَاهُ
ما أَسْعَدَ العِيدَ باللُّقيَا وَأَحْلاهُ
هل تُشرِق الشَمسُ إلاَّ مِن مَطَالِعِه
أَو يَجْمُلُ العِيدُ إلاَّ عَنْد مَرْآه ؟ .
وقفْتُ فى وجْهِ مِرآتى أُسائلُهَا
بأَىِّ ثَوْبٍ غداةَ العِيد أَلْقَاهُ ؟ .

وأَىُّ لَوْنٍ من الأَلْوان يُسْعِدُه ؟ .
فكلُّ لوْنٍ له فى الوَجْد مَعْنَاهُ
وأَىُّ هَيْئَةِ شَعْرٍ أَسْتَثِيرُ بها
كوامِنَ الشَّوقْ تَطْغَى فى حَنَايَاهُ ؟ .
أَأَتركُ الشَّعْرَ منْثُورًا على كَتِفِى
سَابِلاً فى مَهَبِّ الرِّيحِ تغْشَاهُ ؟ .
أَم هَلْ أُسَوِّى شَرِيطًا فى جَدَائله
يُلوِّنُ اللَّيْلَ فى شَعْرِى ويرْعَاهُ ؟ .

وأَىُّ قُرْط عَلَى أُذْنَىَّ يؤْثِرُه ؟.
وأَىُّ عِطْرٍ على خَدَّىَّ يهْوَاهُ ؟.
وهل أُكحِّلُ عَيْنِى ، أم تُرَى سَهَرِى
قَدْ أَوْدَعَ الكُحلَ فِى عَيْنِى وخلاَّهُ ؟.
لا تكتُمِى الحقَّ يا مِرْآةُ ، واعْتَرِفى
بأَىِّ شَوْقٍ ستَلْقانى ذِراعَاهُ ؟.
وأَىُّ دِفْءٍ يُثيرُ النارَ فى شَفَتِى ؟،
وأَىُّ نَارٍ إِذا ما قَبَّلَتْ فاهُ ؟.
وكم حِكَايَةِ حُبٍّ فى جَوانحنا
تُروَى ، إِذا عانقَتْ كفِّىَّ كَفَّاهُ ؟.

لا ترْمُقِينى بإِنْكارٍ وسُخْرِية
فَثروةُ الحُبِّ أَغْلَى مَا ادَّخرْناهُ
وشُعْلةُ الحُبِّ كَنْزٌ فى ضمائرنَا
ولا يُقاسُ بِهَا مَالٌ ولا جَاهُ
لا تَسْأَلِى عن ثَرَائى فى مَحبَّتِه
لا تَسْأَلى عن مَدَاهُ ، يَعلَمُ الله . .

١١ - وَفَاءٌ

يا حَبِيبِى ، وسيِّدى ، وأَمِيرى . .
وَطَنِى أَنتَ . . . أَنْتَ كلُّ كِيانى
أَتَرَانِى وقَدْ بذلْتُ دُمُوعى
فى مُحيطِ الأَشْواقِ كالطُّوفانِ ؟ .
أَنَا فى غُرْبتى ، غَرِيقَةُ أَوْهَامى
. . . وفى شَاطِئَيْكَ بَرُّ الأَمَانِ

أَتَرانى وقَدْ رَمَيْتُ فُؤادِى
فى مهبِّ الرِّياحِ ، ممّا أُعَانى ؟
فَلعلَّ الرِّياحَ تَحْملُ يَوْمًا
لكَ شَوْقى ، ولهْفَتى ، وحَنَانى
أَتَرانى أَحَلْتُ جُرحىَ شِعْراً
نَابعًا من قِرارَةِ الوِجْدَانِ ؟ .
فإِذَا ثَارَ فى فُؤادِكَ شَوْقٌ
فتأَمَّلْ سُطورَهُ . . . تَلْقانى

أَمِنَ العَدْلِ أَنْ يَضيعَ شَبابى ؟ .
يا أَميرى . . فى قِصَّةِ الهِجْرانِ
ثُمَّ تأْتَى بكْ الأَمَانِى وقَدْ فاتَ
على عُمْرنا أَوانُ الأَمانى
فترانى أَسِيرةً لشجُونى
كعَرُوسٍ زُفَّتْ بِغَيْر تهانى
غَيرَ أَنِّى أَظَلُّ فى البُعْد والقُرْبِ
مثالَ الوفاءِ فى كلِّ آنِ . .

١٢ - نَجوى

يا أَميرى ، أَنْتَ يا أَطْهَرُ مِنْ طِينِ البَشَرْ
أَنْتَ يا نَفْحةَ نُورٍ إلهٍ مُقْتَدِرْ
يا مَلاكًا سَاحِرَ الطَّلعةِ فتَّانَ الغُرَرْ
يا سَماءً تَزْرَعُ الخُضْرَةَ فِى قلْبِ الحَجرْ
أَنَا مِنْ حُبِّكَ أُخْفِى عَنْكَ آلاف الفِكَرْ
فى ثَنَايا كِبْرِيَاءٍ ، وحَيَاءٍ ، وَخَفَرْ . .

كُلَّمَا ناجاكَ شِعْرِى بِحَنِينٍ مُسْتَعِرْ
ذَابَتِ الأَبْيَاتُ فى ثَغْرِىَ ، والْتاعَ الوَتَرْ

كُلُّ شىءٍ فيكَ . . . حتَّى النَّارُ . . . حُلْوٌ فى السِّيَرْ
أَشْعِلِ السِّيجارةَ الحسناءَ ، يُلْهِبْنى الشرَّرْ . .
واملإِ الجَوَّ دُخَانًا . . ثُمَّ دعْهُ يَنْتشِرْ
إِنَّه يملأُ إِحْساسى بإِنْصافِ القَدَرْ
إِنَّهُ يَلمَسُ أَعْصَابِى بتيَّارِ الخَدَرْ

إِنَّهُ خَمْرِى . . وكاساتى إذا القَلْب سكِرْ
إِنَّهُ يكْتُب لى فى حُبِّنَا أَحْلى السُّوَرْ
إِنَّهُ شَلاَّلُ أَلْوانٍ وأَضْوَاءٍ عَطِرْ
إِنَّه فى جَدْبِ أَيَّامِى كرشَّاتِ المَطَرْ . .
تُنْبتُ الشَّوْقَ ولا تُبْقِى منَ الشَّجْو أَثَرْ
إِنَّهُ يرسُمُ لى الفِرْدَوْسَ فى أَبْهَى الصُّوَرْ

يا أَمِيرى ، إِنَّ حُبِّى لك طِفْلٌ فى الصِّغَرْ
كُلَّما أَشبعتَهُ وَصْلاً تَرَى الطِّفل كَبَرْ . .

١٣ - ذِكْرَيَاتٌ

حَبِيبِى ، أَتَسْترجعُ الذِّكْرياتِ ؟ .
إِذا ما خلَوْتَ لِصَمْتِ المَسَاءْ
فتذكُرُ كيْفَ سَمِعْنا اللَّيالى تُزغْرِدُ منْ فَرحَةٍ باللِّقاءْ
وكيْفَ رأَيْنَا ضِياءَ الكَوَاكب أَوْتَارَ قيثارةٍ للغِنَاءْ
وماذا نَسِينا ؟ . نَسينا الزَّمَانَ ، نَسينا المَكَانَ ، نَسينا الرِّياءْ
نَسينا الحِسابَ ، نَسينا العِتَابَ ، نَسينا العَذَابَ
نَسينا الشَّقَاءْ
وماذَا ذَكَرْنَا ؟ ذكرْنَا الوُعودَ ، ذَكرْنا العُهودَ ، ذَكَرْنَا الهَنَاءْ ،
ذَكرْنَا الغَرَام ، ذَكرَنا الهُيامَ ، ذَكَرْنَا السَّلاَمِ ،
ذَكَرْنَا الوَفَاءْ
وقدْ نَصَبَ البَدْرُ أُرْجُوحةً منَ النُّورِ ترفَعُنا للسَّماءْ
وعيناكَ للحبِّ نَافذتانِ . . أَرَى الطُّهْرَ خلْفَهمَا والصَّفَاءْ
وكفَّاكَ تَحتَوِيانِ جَدائلَ شَعْرى . . وتخْشَى عَلَيْهَا الهَوَاءْ

وصَدْرُكَ يَغْدُو وِسَادًا لصَدْرِى . . كأنك تَحْمِلُ عنِّى العَناءْ . .

حَبِيبِى ، وحبُّكَ أُسطُورَةٌ ، تكلِّلُ قَلبِىَ بالكِبْرِياءْ

فما هو لَهْوٌ ، ولا نَزْوَةٌ . . تُرابِيَّةٌ ، تَنْتهى بارْتواءْ

ولكنَّهُ نَشْوَةٌ كالصَلاةِ ، وإِشْرَاقَةٌ حُلْوَةٌ كالضِّياءْ

كأنَّك منْ زَمَنى رحمةٌ . . . كأَنَّكَ منْ عنْدِ ربى عَطاءْ

حَبِيبِى . . . تولَّتْ لَيالى الرَّبيعِ ، ومرَّ الخَرِيفُ ، وجَاء الشِّتاءْ

أَتَذْكُرنى رَغْم قَصْفِ الرِّياح ، وعَصْفِ النَّوَى بِزَمَانِ اللِّقاءْ ؟ .

أَتَسْمعُ فى اللَّيْل هَمْسى إليكَ . . . وتَلْمَحُ فى نَاظِرىَّ البُكَاءْ ؟ .

أَتَعْرِفُ أَنى وقَدْ غِبْتَ عَنِّى ، أَعيشُ بِلا أَمَلٍ أَو رَجاءْ ؟ .

وتَشْهدُ رُوحِى مَصلوبةً . . . وذَاتى مهيأَةً للفَناءْ ؟ .

فللْحُبِّ عِشْتُ ، وللحُبِّ مِتُّ ، وللحبِّ هان علىَّ الفداءْ . .

١٤ - قُبْلَة

قَالَ لى . . . وهو يطعْمِ القُبْلَةِ الحَسْناءِ أَخْبَرْ :
إنَّ فى ثَغْرِكِ نَافُورةَ ياقُوتٍ وعَنْبَرْ
لوْ رَنَا الوَرْدُ إلَى أَنفَاسِها الحَرَّى تَبَخَّرْ
أَوْ دَنَا الرَّاهِبُ مِنْها . . . نَسىَ الدَّيْرَ ليسْكَرْ . .
كلُّ حَرْفٍ من جَنَى ثَغْرِكِ مقْطُوعةُ سُكَّرْ
فاحْذَرِى إنْ لامَسَتْها ، نَسْمَةٌ أَنْ تتكسَّرْ . .
أَنتِ يا فَاتِنتَى ، أَحْلَى من الدُّنْيا وأَنْضَرْ
وابْتساماَتُكِ تجلُو الكوْنَ كالفرْدَوسِ أَخْضَرْ
أَنْتِ لى أُمْنِيَّةٌ أَحْلَى من الحُبِّ ، وأَكْبَرْ . .

١٥ - غَيْرَة

شَعْرُكِ المُرْتمى على كَتِفَيْكِ
إِرْفعِي ليلَهُ . . . بحقِّى عليْكِ
لَمْلِميهِ . . . فإنَّ قَلْبِىَ طِفْلٌ
نَائمٌ . . حَالمٌ . . على سَاعِدَيْكِ
زَحْزِحيه . . . إنِّى أَخافُ عليْهِ
مِنْ لَهِيبِ الأَشْوَاقِ فى شَفَتَيكِ . .
آهِ منْ غَيْرتى عليْكِ من اللَّيْلِ ،
. . . إذا ما استْنامَ بيْنَ يَديْكِ
ومِنَ المشْطِ ، إِذْ أناملُه تلْهُو
. . . وتَلْقَى الأَمَانَ فِى إصْبَعَيْكِ
ومِنَ النَّسْمةِ السَّعيدةِ إنْ
. . . طارَتْ بأَمْواجِه علَى جانبيْكِ
ومِنَ الكُحْلِ ، إذْ يبثُّ هَواهُ

لُعْبتى المشتهاةَ فى عينيْكِ
ومِنَ الوردْ ، طائفًا بشذَاهُ
وبألْوانه على وَجْنتيكِ
ومن القُرْطِ حين يُرهِقَ باللُّؤْلُوءِ
. . . ضَعْفَ الثُّقوبِ مِنْ أُذُنَيْكِ
ومِنَ الدَّرْبِ حين يُزْهَى ثَرَاهُ
بالخُطَى الرَّاقصاتِ مِنْ قَدَميكِ
وقُصَارَى هَوايَ أَنْ غِرْتُ مِنْ
. . . نَفْسىَ ، إذْ إنها تَغارُ عليْكِ
كُلُّ هذى الأَلْوانِ والعطْرِ والجَوْهَرِ
. . . دُونَ الذى أَرَاه لدَيْكِ
إنَّها لا تَزِيدُ من سِحْرك الدَّافقِ
. . . شيْئًا ، ولا تُضِيفُ إليْكِ
فاطْرحِيها . . وطَالِعينى كما أَنتِ
. . أَعِشْ للصَّلاةِ بينَ يَدَيْكِ . .

١٦ - فى الغربة

ويَصْحُو عَلَى الأُفْقِ ضَوْءُ القَمَرْ
وتُزهَى السَّماءُ بأَغْلَى الدُّرَرْ
وتصفُو الحياةُ لأَهْلِ الهَوَى
ويَخْلُو لهُمْ فِي اللَّيَالِى السَّهَرْ
ويهْتاجُنى الشَّوقُ فى وَحْدتى
فأَبْكى ، وأَنْتَ بعيدُ السَّفَرْ
عَلَى وحْدتى فى بِلادِ الشِّمالْ
بِلادَ الضَّبابِ ، بِلادِ المطَرْ
أَظَلُّ أُنَاجِيكَ فى غُرْبَتى
إِلى أَن يُطلَّ شُعاعُ السَّحَرْ
ويشْدُو فُؤادى بشِعْرِ الحَنِين
ولولا الهَوَى ما شَدَا . . أَو شَعَرْ . .
أَتسمَعُنى أَقْطفُ الكلماتِ
لنجْوَاكَ من هَمَساتِ الزَّهَرْ

وفى خَافِقِى مَوْقِدٌ منْ هَوَاكَ
يثُورُ . . ويَرْقُصُ فيه الشَّرَرْ
تُسَابِقُ أَشواقُه أَحْرُفِى
بشَجْوٍ يُفتِّتُ قلبَ الحَجَرْ
فَكيْفَ تُرَدِّدُ أَنِّى سَلَوْتُ
وأَنتَ بِقَلْبِى أَعزُّ الصُّوَرْ
ولولا غرامُكَ يُوحِى إلىَّ
لغَابَ النَّشيدُ ، وضَاعَ الوَتَرْ
ومهْما اغتربْنَا . . . ومهْما اقتربْنَا
فإِنَّكَ أَنت حَبِيبُ القَدَرْ . .

غَدًا يا حبيبى أَعُودُ إِلَيْكَ
ونَجْنِى المُنَى تحتَ ضَوْءِ القَمَرْ . .

١٧ - خِدَاع

كَمْ أخْدَعُهُ .. قَلْبِى المِسْكِينْ
وَيَدِى نَزَعَتْ مِنْهُ السِّكِّينْ
وَأَقُولُ لَهُ عَنْ غَيْرِ يَقِينْ
الْعِيدُ غَدًا للبيْتِ يَزِينْ
فغدًا .. فى التاسعِ والعشْرِينْ
وَلَدِى فىّ عُمْرِ البدْرِ يَبِينْ
ويُتِمُّ ثَلاَثَ وَعَشْرَ سِنِينْ

فيقولُ القلْبُ .. كَفَاكَ خِدَاعْ
فالْعِيدُ مضى مِنْ غَيْرِ وَدَاعْ
والأمَلُ الْحُلْوُ الْمُشرِقُ ضَاعْ
لم يَبْقَ بِقَلْبَ النُّورِ شُعَاعْ
لم يَبْقَ لطَعْمِ العيْشِ مَتَاعْ
وبقايا العُمْرِ ضَنىً وَضَيَاعْ

أَيْنَ الْبَسَمَاتُ عَلَى شَفَتَيْكْ ؟
وهدايَا الْعِيدِ عَلَى كَفَّيْكْ . .
وزهورُ العيدِ تَهَشُّ إلَيْكْ
وشموعُ العيد تَزِينُ الأيْكْ
والدُّنْيَا تَضْحَكُ فى عَيْنَيْكْ
ومباركُ يَضْحَكُ بَيْنَ يَدَيْكْ
لَوْ كَانَ العِيدُ لزَيَّنا الدَّارْ
وجَلَبْنَا الْحَلْوَى والأزْهَارْ
وفرشنا النُّور عَلَى النَوَّارْ
وسهرنا الليلَ مع الأوتار
لكنَّ ربيعَ الروضِ انْهَارْ
وانْفَضَّ النُّورُ ، وخلَّى النَّارْ . .

١٨ - أمْطِرى يا سماءْ

أجَلْ . .
أمْطِرى . . أمْطِرِى يَا سَمَاءْ
فمأساتُنا فى الليالى سَواءْ
ونُوحى معى بعد فقدان مَنْ . .
نذرتُ له طولَ عمرى البكاءْ .
أجَلْ . . .
أرْعِدى . . أسمعينى صَدَى
أسَايَ . . فإنِّى فقدْتُ الرَّجَاءْ
وأصبح دمعى لاَ يَنْتَهِى
ولن ينتهى قَبْلَ يومِ اللقاءْ

أجَلْ . . .
حَطِّمى كلَّ شىءٍ هُنَا
فَمِنْ بعْدِهِ كلُّ شىء هَبَاءْ

أجَلْ أمْطِرى . . ذوِّبينى أسىً
خُذِينى بسيْلِكِ قَطْرَةَ مَاءْ
لَعَلِّى أَسيلُ عَلَى قَبْرِهِ
وَأَسْقِيهِ فى لَهْفَتِى مَا أَشَاءْ
لعلِّىَ أَسْقُطُ فى قَفْرَةٍ
فَأُحْيِى الجياعَ ، وأَسْقِى الظِّمَاءْ
أَجَلْ أمْطِرِى . . .
أمْطِرِى يَا سَمَاءْ . .
فَإِنِّى فَقَدْتُ المُنَى والرَّجَاءْ
فَقَدْتُ الذى كانَ فيما عَشِقْتُ
أرقَّ المعانى وأحْلَى الْعَطَاءْ
أجلْ . . . زلزلى الْكَوْنَ . . إِنَّ بِقَلْبِى
زلازلَ هُوجاً تلبِّى النِّدَاءْ
لَقَدْ حَجَبَ الحزْنُ عَنِّى الوُجُودَ
وَأَمسَيْتُ أشْتَاقُ حِضْنَ الْفَنَاءْ
كرهتُ الحياةَ وما فى الحياهْ
كرهتُ الصداقَة والأصدقاءْ
كرهتُ التَّفَاهَةَ والتَّافِهِينَ

وفَرْطَ الجحودِ ، وشُحَّ الوفَاءْ
فهاتى سيولَكِ . . أُخْمِدُ حقدى
على الحاقدين . . على الأشقيَاءْ
وأنزعُ موقعَهم من ضميرى
وأُطفىءُ ثورةَ هذى الدِّمَاءْ
وَيَسْجُدُ صَفٌّ دُمُوعى لربِّى
وأَرْجِعُ فى نُورِه للصَّفَاءْ
لَعَلَّكَ يَا رَبِّ تَرْحَمُ ثُكْلِى
وَتَنْزِعُ مِنْ شَوْكِه مَا تَشَاءْ

١٩ - حديثٌ إلى نفسى

إدْفعى زَوْرقى إلى النُّورِ يا نفسى ، وَسِيرى به لبرِّ الأمانِ
وكـفى ما احْـتَمَلْـتُ مـن شَـجَنِ اللَّيْلِ ، وَعَـصْـفِ النَّوَى ، وظُلْم الزمانِ . .

كُنْتِ كالروضِ تزدهين على الكونِ بسحر العطورِ وَالأَلْوانِ .
كُنْتِ كالشَّمْسِ تغمُرِينَ مدى الأَرْضِ باحْتِوَاءِ حُسْنِكِ النُّورَانِى
فتحوَّلْتِ كالخرائبِ والأَطْلاَلِ مَأْوى لِلْبُومِ والغِرْبَانِ
وتبدَّلْتِ فالزهورُ هشيمٌ ، والسَنى فاحمٌ من النيرانِ
والهوى قصةٌ نَعَتْهَا الليالى . . والنَّدَى أدمُعٌ على الأجفانِ
آه يا نفسِ لو ملكتِ مصيرى ، وتحكَّمْتِ فى هَوَى وجْدانى
لتحمَّلْتُ بالسُّمُوِّ ، وبالصَّبْرِ ، لأَلْقَى سعادةَ النِّسْيَانِ . .

غَيْرَ أنِّى فَقَدْتُ فِى مَهْمَهِ الحُبِّ بَقَايَا إِرَادَةٍ فِى كيانى
وتعثَّرْتُ فى طريقِ حياتى ، كخيالٍ يجرى وَرَا إِنْسَانِ
أَيُّهَا الْحُبُّ . . يا ملاذَ المساكينِ ، ويا رحمةً مِنَ الرَّحْمَنِ

أَنَا لَوْلاَكَ مَا رَأَيْتُ سَنَى الله ، ولا ذُقتُ لذَّةَ الإيمَانِ
أَنَا لَوْلاَكَ لانْحَدَرْتُ إلىَ السَّفْحِ ، ولَمْ أَرْتَفِعْ لِسَمْتِ التَّفَانِى
فَانْتَشِلْ زَوْرَقِى إلى شَاطِىء الأَمْنِ وهدِّىءْ لواعجَ الحرْمانِ
وأَعِدْ لى الْعَهْدَ الذى يجدُ القلبُ به عَوْدَةً إلى نِيسَانِ . .

٢٠ - صلاة

كلماتى مُرَّةٌ كالصَّبْرِ ، حَرَّى كدموعى ..
منذُ أن جَارَتْ يَدُ الموْتِ على أَغْلَى شُمُوعى
وَرَحَى المحْنَةِ لاَ تَنْفَكُّ عَنْ سَحْقِ ضُلُوعِى
آهِ .. من وَحْشَةِ أحبَابِى ، وَمِنْ فَرْطِ نُزُوعِى
آهِ .. من صَرْخَةِ أشْجَانِى ، وأنَّاتِ وُلُوعى
ومن الليل الذى عذَّبنى ، دونَ هُجُوعِ
والسَّوَادِ الضَّارِبِ الْحُلْكَةِ فى كُلِّ الربُوعِ
يا إلهى .. اقْبَلْ صَلاتى ، وامتثالى ، وخُشُوعى
فهْىَ قُرْبانى إلى ذاتِكَ ، فى شَوْقِى وجُوعى
للقاءِ ابْنى الذى راحَ إلى غيْرِ رُجُوعِ ..

٢١ - إرفَعى المِشْعل

فى بلادى ، فى مغانى أرْض أجدادى الجميلهْ
لى مع الأيام أخبارٌ .. وَأسرارٌ طويلَهْ ..

هل أبوحُ اليومَ بالشَّجْوِ لأحبابى وقَوْمى ؟
فلعلَّ البَوْحَ يجلو عن فؤادى بعضَ همِّى ..

يَا بلادى أنتِ أَنْأَى من سَنَى الأَنْجُمِ عَنِّى
بَيْدَ أن الجُرْحَ فى الأعماق يبكى .. ويُغنِّى ..

غُرباءُ الأرضِ أغراهُمْ بريقُ الذَّهَبِ
فاستبَاحوا دُونَ حقٍّ ، أرْضَ أمِّى وأَبِى ..

وَغَدَا دَيْدَنُ أهل الحىِّ ، خُبْثٌ ونِفَاقْ ..
كيف يرتاحُ الضميرُ الحرُّ ، والحقُّ مُراقْ ؟

فى بلادى ، فى مغانى أرض أجدادى الجميلَهْ
نَسىَ الناسُ من اليأسَ التواريخَ الجليلَهْ .

ذَابَتِ الأحلامُ ، والآمال ، فى الدمع السخينِ
وجرى الدمع دمًا يبكى على الحقِّ السجينِ

أضحت الأخلاقُ بَيْنَ النَّاسِ عُمْلاتٍ قديمَهْ . .
سُحُبُ الْحُبِّ طَوَتْهَا عبرةُ الجُرْحِ الأليمهْ

كلما عُدْتُ أرانى ، فى حِمَى أهْلِى غَرِيبَهْ . .
وهُمُ مثلىَ أغرابٌ . . على أرضٍ سَلِيبهْ . .

نَحْنُ أَمْسَيْنَا مع الأَغْنَامِ فى أَرْضِ بِلاَدِى
والكلابُ السودُ ترعىَ ، والخنازيرُ تُنادِى . .

رُبَّمَا تأكُلُنا يومًا . . وباسْم المدنيَّهْ . .
يسقُطُ الوَعْىُ . . ويغْدُو الشعْبُ للغازى ضحيَّهْ .

ثُم نُمسى بعد هذا الهُون ، تاريخًا قديما
ورسومًا بَاليات .. آهِ ما أشْقَى الرُّسُوما .

سَيُقولونَ : هُنا .. كانت .. كُوَيتٌ وإمَارَهْ ..
رفعتْ فى البحر ، قبلَ البرِّ ، أعلامَ الحضارهْ ..

شقَّتِ الريحَ ، وأجْرَتْ فى المحيطاتِ السفينَهْ
قبل أن ينشأ مُلْكٌ ، ومُلوكٌ .. ومدينَهْ ..

ثم غرَّتهم أباطيلُ الحضاراتِ الجديدَهْ
فتناسَوْا أنَّهم إرْثُ التقاليد العتيدهْ ..

يا شبابى .. إن فيكمْ كُلَّ آمالى الرفيعَهْ
وبلادى بين أيديكمْ ، تراثٌ ووديعه .

فَانْهَضُوا مِنْ غفوةِ الوعْى ، ومن أسْرِ السَّكينَهْ
قبْل أن تَغْرَقَ فى الطوفان ، أعلامُ المدينَهْ ..

إنهضُوا . . . لا النَّارُ والبترولُ فى أيدٍ أمينهْ
لا . . . ولا أنتمْ على وَعْى بأطماعٍ دفينَهْ . .

إطْرحُوا كلَّ بريقٍ ، وتناسَوْا كلَّ زينَه . .
واجعلُوا أيْدِيَكُمْ دِرْعًا على الحقِّ أمينَهْ

كلُّ ما يُبنى على الرمْلِ ، هباءٌ فى هبَاءْ . .
فابْتَنُوا فى العمْقِ ، ما يَرقى لأسْبَابِ السَّمَاءْ

يا كُويتى ، يا بلادى ، يا حَيَاتى ، يا مصيرِى
هأنا أشْعُرُ أنِّى ، ضلَّ فى الأرض مَسِيرى . .

فَخُذِى العِبْرَةَ منِّى . . وامسحى زَيْفَ الدِّهَانْ
وأفيقى للعوالى ، قبل ما يَمْضى الأوانْ

هذه الأيَّامُ . . لا تعرفُ معنًى للسُّبَاتِ
والذى يغفُلُ ، تطويهِ رياحُ الذكرياتِ . .

حَرِّكى فيكِ الشبابَ الحرَّ . . نحْوَ الأمنياتْ
ليس فى الدنيا ثباتٌ . . بل حياةٌ أو مماتْ . .

أرْجعى ماضيَكِ الْخَالدَ ، حُلْوَ النَّغماتْ
وارفَعِى فى العَرَب المِشْعَلَ . . تحلُ الأمسياتْ . .

٢٢ - أنا والغَيْب

كَيْفَ يا قَلْبِى تَفرَّدْتَ بألْوَانِ العذابْ ؟
واحتملْتَ العيشَ مُرًّا ، وشربْتَ الكأسَ صَابْ
ولماذا أوْصَدَ الغيبُ بوجهى كُلَّ بابْ ؟
وسقانى الهمَّ واللوعَةَ من غيْرِ حِسَابْ
ربِّ . . غفْرَانَكَ إن كُنْت تجاوزتُ الصوابْ
وأسأتُ الظنَّ بالغيبِ ، وأخطأتُ الخِطَابْ
رغمَ أن النُورَ فى أعماق أعماقى مُذَابْ
لم يحرِّضْنى ضلالٌ ، أو يساورْنى ارْتِيَابْ
أو يحرِّكْنى إلى ذاتكَ لُومٌ أو عِتَابْ
فأنا مِنْ حَرَمِ الإيمانِ فى أعلى رحابْ
بيْدَ أنى تُهْتُ يا ربِّىَ فى درب الشبابْ
واكتستْ أجملُ أحلامى بمسودِّ الضَّبابْ
وذوتْ بى زهرةُ العمر ، شجونًا واضطرابْ
يا إلهى . . هل قضى أمْرُكَ فى أُمِّ الكتابْ . .

أن أرى أحلامَ عمرى ، فى رؤى الوهم سرابْ
وأمانىَّ نجومًا تائهاتٍ فى السَّحَابْ
أكذا ينْتَحِرُ العمْرُ ، وينفَضُّ الشَّبَابْ ؟
وأرى قلبى الذى ما زالَ كالبُرْعُمِ . . شَابْ
وخيالاتى على الأيَّام تَهْوِى كالشِّهَابْ
يا آلهى . . كم أُنَادِيكَ فَهَلْ لِى من جَوابْ ؟

٢٣ - أوراقٌ من مفكرة امرأة خليجية

١

أنا الخليجيّةُ
التى يمرُّ بين شَفَتَيْها خَطُّ الإستواءْ
وعلى خيطان دَشْدَاشَتِها
تتجمَّعُ مراكبُ النواخِذَهْ
ولقالقُ البحرْ
ونجومُ الصيف المتساقطهْ
من حدائقِ اللَّهْ . . .

٢

أنا شَجَرَةُ السِدْرِ الدائمةُ الاخضرارْ
وفاكهةُ النارِ والنُحَاسْ

وزَهْرةُ الحُلْمِ والنُعاسْ
أنا البدويَّةُ
التى جاءت إليكَ من بحار الصينْ
لتتعلَّمَ الحبَّ فى مدرستكْ
فَعَلِّمْنى . . .

٣

أنا الخليجيَّةُ
الهاربةُ من كتابِ ألف ليلَهْ
ووصايا القبيلَهْ
وسُلْطَةِ الموتى
والتى تتحدَّى - حينَ تكونُ مَعَكْ -
حركةَ التاريخِ ، وجاذبيَّةَ الأرض ،
أنا النَخْلةُ العربيةُ الأصُولْ
والمرأةُ الرافضةُ لأنْصَافِ الحلولْ
فباركْ ثورتى . . .

٤

أنا الخليجيّةُ
التى نِصْفُها سَمَكَهْ
ونِصْفُها امرأَهْ . .
أنا الناىُ . . والربابةُ . . والقهوةُ المُرَّهْ . .
أنا المُهْرَةُ الشاردَهْ
التى تكتبُ بحوافرها نشيدَ الحريَّهْ .
أنا الخنجرُ البحرىُّ الأزرقْ
الذى لن يستريحَ
حتى يقتلَ الخُرافَهْ . . .

٥

أنا الخليجيّةُ . .
التى تُقاتِلُ بأظافرها

من أجل أن يكونَ الخبزُ للجميعْ . .
والمَطَرُ للجميعْ . .
والحبُّ للجميعْ . .
والتى تُقاومُ ملحَ البحرْ
وتيَّاراتِ الأعماقْ
والرجالَ الذينَ لهم أسنانُ سَمَكِ القِرْشْ
وعيونُ الشُرْطةِ السرِّيهْ . . .

٦

أنا الخليجيّةُ . .
المُعَتَّقَةُ فى خوابى الزَمَنْ
أنا الساليَّةُ . .
أنا الصالحيَّةُ . .
أنا الشُوَيْخُ . .
أنا عَدَنْ . .
وأنا التى لو شِئْتَنى يومًا

لكنتُ لكَ الوطَنْ . . .

٧

أنا الغجريَّةُ التى تحملُكَ فى خلاخيلِها
وَحَلَقِها النُحاسىّ الطويلْ
وتسافرُ بكَ إلى آخرِ حدودِ الدنيا
وإلى آخرِ حدود الولَهْ . .
يا مَنْ يُشْعلُ بياضَ الثلجْ . .
وذاكرةَ العطورْ . .
ويُشْعِلُ ذاكرتى . .

٨

أنا قصيدتُكَ المكتوبةُ بحبر الأنوثَهْ
أنا عصفورتُكْ
أنا جزيرتُكْ

أنا كنيستُكْ

فاسْمَعْ أجراسَ حنيني

وأطْرُقِ البابَ علىَّ فى أىّ وقتٍ تُريدْ

وعلّقْ على أهدابى

أحزانَكْ . .

٢٤ - المجنونة

١

إنَّنى مجنونةٌ جدًا . .
وأنتمْ عُقَلاءْ
وأنا هاربةٌ من جنَّةِ العَقْلِ ،
وأنتمْ حُكَمَاءْ
أشْهُرُ الصيفِ لكُمْ
فاتركوا لى إنقِلاباتِ الشتاءْ . .

٢

أنا فى حالة حُبٍّ . . . ليس لى منها شفاءْ
وأنا مقهورةٌ فى جَسَدى
كملايين النساءْ

وأنا مشدودةُ الأعصاب . .
لو تَنْفُخُ فى داخل أُذُنَى
لتطايرتُ دخانًا فى الهواءْ . . .
إننى ضائعةٌ كالسَمَكِ الضائعِ فى عَرْضِ البحارِ . . .
فمتى تُنْهى حِصارَى ؟ . . .
يا الذى خبَّأ فى معطفه مفتاحَ دارى
يا الذى يَدْخُلُ فى كلِّ تفاصيل نهارى .

٣

يا حبيبى :
إننى دائخةٌ عِشْقًا
فَلَمْلِمْنى بحقِّ الأنبياءْ
أنتَ فى القطبِ الشمالىِّ . . .
وأشواقى بخطِّ الإستواءْ
يا حبيبى :
إننى ضِدّ الوصايا العشْرِ . . .

والتاريخُ من خلفى دماءٌ ورمالْ . .

إنْتمائى هو للحُبِّ . .

وما لى لسوى الحُبّ انتماءْ

وَطَنى . .

مجموعةٌ من شَجَرِ الليمونِ فى صدركَ . . .

والباقى هُرَاءٌ بهُرَاءْ . . .

٢٥ - فتافيتُ امرأة ...

١

أيُّها السيِّدُ . . . إنى امرأةٌ نَفْطِيَّةٌ
تطلعُ كالخنْجرِ من تحت الرمالِ . .
تتحدَّى كُتُبَ التنجيمِ ،
والسِحْر . . .
وإرهابَ المماليكِ . .
وأشباهَ الرجالِ . . .
إنَّنى فاطمةٌ . . .
أصرخُ كالذئبة فى الليل ،
وسيَّاراتُ أهل الكهفِ جاءَتْ لاعتقالى
أيُّها السيّدُ . .
إنّى امرأةٌ مجنونةٌ جدًا . .
ولا وَصْفَ لحالى .

إنَّ عِشْقى لكَ من باب الخُرَافَاتِ ،
فلا تَكْسِرْ خيالى . . .

٢

أيُّها السَّيِّدُ : ماذا بمقاديرى فَعَلتْ ؟
لم يعُدْ عندى انتماءٌ غيرَ أنتْ . .
إنَّكَ القوميَّةُ الكُبرى التى تربطُنى .
وتعاليمُكَ - يا مولاىَ - أحلى ما قرأتْ
كلُّ أوراقى التى أحملُها فى سَفَرى
فوقَها ، رسْمُكَ أنتْ . . .
والمرايا . . . لا أرى وجهى بها
بل أرى وجْهَكَ أنتْ . .
(والكاسيتاتُ) التى أسمعُها فى خلوتى
عكَسَتْ ذوقَكَ أنتْ . .
لم يعد عندى مكانٌ
بعدما استعمرتَ كلَّ الأمكنَهْ

لم يَعُدْ عندى زمانٌ
بعدما صادرتَ كلَّ الأزمنَهْ
أنت سَقْفى . . وغطائى . . والسَنَدْ
لم يَعُدْ عندى بلادٌ . .
بعدما صرتَ البَلَدْ .
أيُّها المحتلُّنى شِبْراً فشِبْرَا
أنتَ ألغيتَ عناوينى جميعًا
فإذا ما هتفوا باسمىَ
فالمقصودُ أنتْ . . .

٣

سيِّدى ، يا سيِّدى
أيُّها الحاكمُنى من غير قانونٍ . .
ومن غير شرائعْ .
أيُّها الحابِسُنى كالماء ما بينَ الأصابعْ
أيُّها الطفلُ الذى لم أستطعْ تهذيبَهُ
والذى أهديتُهُ الصيفَ . .

وأهدانى الزوابعْ . .
أيُّها الطفلُ الذى أخرجتُهُ من جَسَدى
كم أنتَ رائعْ !! .

أيُّها السيِّدُ :
أهلاً بكَ فى هذى المدينَهْ .
أنا خَبَّأتُ بشَعْرى لحبيبى ياسمينَهْ
أيُّها المالكُنى . .
من غير أوراقٍ . . . ومن غير شُهُودْ
أيُّها المحتلُّنى . .
من غير إنذارٍ . . وخَيْلٍ . . وجُنُودْ
أيُّها السَّاقطُ فوقى كالرُعُودْ
كان لى قَبْلَكَ أرضٌ . . وحدُودْ
وأضعتُ الأرضَ فى الحبِّ . .
وضيّعتُ الحدودْ . . .

أيُّها السّيّدُ :
أُخْرُجْ من جهازى العَصَبىْ
من كتاباتى . .
وحِبْرى . .
وسُطُورى . .
وشرايينِ يَدَىْ . .
أيُّها السيّدُ أُخْرُجْ
من مِلاَءَاتِ سريرى . .
من رَذَاذِ الماءِ ينسابُ على جسْمى صباحًا
من دبابيسى . . وأمْشَاطى . .
وكُحْلى العربىْ . .
ليسَ معقولاً . .
بأن تبقى مُقيمًا سنةً كاملةً فى شَفَتَىْ
ليسَ معقولاً بأن تذبَحَنى

ثم تُلقى تُهْمَةَ الذبْح عَلىَّ . .
أيُّها السيّدُ :
إرفَعْ سَيْفَ إرهابكَ عنّى
إنَّ هذا ليسَ حُبّاً
إنَّهُ . .
- فى أبسط الأوصافِ -
غَزْوٌ بَرْبَرِىٌّ . . .

٦

سَيِّدى ، يا سَيّدى
أيُّها اللابسُنى ثوبًا من النار عليكْ
هل من الممكنِ . .
أن ترفَعَ عن صدرى وأنفاسى يديكْ ؟
أحْسَنَ اللهُ إليكْ . .
هل من الممكن أن تُعتقَنى
فأنا لا أبصرُ الألوانَ دونَكْ
وأنا لا أسمعُ الأصواتَ . .

دونَكْ . . .

وأنا لا أعرفُ الشمسَ ، ولا البحرَ ،

ولا الليلَ ، ولا الأفلاكَ دونَكْ

أيُّها السيّدُ :

إنّى كنتُ فى بحر بلادى لُؤلُؤَهْ . .

ثم ألقانى الهوى بين يديكْ . .

فأنا الآنَ فتافيتُ امرأهْ . .

أيُّها السيّدُ :

لو حاولتَ أن تُمْسِكَنى . .

لَنْ تَرَى إلاَّ فتافيتَ امْرَأهْ . .

لَنْ تَرَى إلاَّ فتافيتَ امْرَأهْ . .

لَنْ تَرَى إلاَّ فتافيتَ امْرَأهْ . . .

٢٦ - إنّ جسمى نخلةٌ تشربُ من بحرِ العربْ

١

إنّنى بنتُ الكويتْ
بنتُ هذا الشاطىء النائمِ فوقَ الرملِ ،
كالظبى الجميلْ
فى عيُونى تتلاقى
أنْجُمُ الليل ، وأشجارُ النخيلْ
مِن هنا .. أبْحَرَ أجدادى جميعًا
ثم عادُوا .. يحملونَ المستحيلْ ..

٢

إنّنى بنتُ الكويتْ
ومع اللؤلؤ فى البحر تَرَعْرَعتُ ،

ولَمْلَمْتُ مَحَارًا ونُجُوما

آه . . كم كان معى البحرُ حنونًا وكريما

ثُمَّ جَاءَ النَفْطُ شيطانًا رَجيما

فانْبَطَحْنا عند رجليه رجالاً ونساءَ

وعبدناهُ صباحًا ومساءَ

ونسينا خُلُقَ الصحراء . . والنخوةَ . . والقهوةَ .

والمهباجَ . . والشِعْرَ القديما . .

وغرقنا فى التفاهات . .

هَدَمَنَا كلَّ ما كانَ مُضيئًا . .

وأصيلاً . . وعظيما . .

٣

إنّنى بنتُ الكويتْ

غُرفتى الشمسُ . .

ومِنْ بعضِ أسمائى الصبَاحْ

وجُدُودى اخترعوا الأمواجَ . . والبحرَ . .

وموسيقى الرياحْ . .

صادقوا الموتَ . . فلا الخيلُ استراحتْ
من أمانيهمْ . .
ولا السيفُ استراحْ . .

*

ثُمَّ حلَّتْ لعنةُ النَفْطِ علينا
فاسْتبحنَا كلَّ ما ليس يُباحْ
فالبساتينُ فراشٌ للهوى
والنساءُ الأجنبيَّاتُ . . .
يُعطّرنَ لياليا الملاحْ
والدنانيرُ على الأقدامِ تُرْمى . . .
وعلى الأجسادِ تصْطَفُّ القِداحْ
هكذا يا وطنى . . .
تُرْفَعُ راياتُ الكفاحْ !!
هكذا يبكى على الحائط سيفٌ
أثرىٌ لأبى . .
هكذا ، مِنْ يأسِه ، يبكى السلاحْ . .

٤

وَطَنى . . أصبحتُ لا أعرفُهُ .
هل هو البازارُ ؟
والشِكَّاتُ من غيرِ رصيدٍ ؟
ودكاكينُ القمارْ ؟
هل هو الخمسونَ (هَامُورًا) يجوبونَ البحارْ ؟
هل هو الشعبُ الكويتىُّ الذى
تذبحُهُ المافياتُ فى ضوء النهارْ ؟
فاغضبى أيّتها الأرضُ التى
ما شاركتْ فى الحرب إلاَّ بالصراخْ
والتى ما أَنْجَبَتْ بعد مَخَاضٍ مُوجعٍ
غيرَ فُرْسانِ (المَنَاخْ) . . .

إغْضَبِى . .

أيّتها الأرضُ التى نامَتْ طويلاً
فى فراشٍ من ذَهَبْ
إغْضَبى . .
أيّتها الأرضُ التى تَشْرَبُ بترولاً . .
وتبنى عَرْشَها فوقَ الحَطَبْ
إغْضَبِى . .
أيّتها الأرضُ التى أسكرها المالُ . .
وأعْمَاهَا البَطَرْ . .
إننى أرفُضُ أن أعتبرَ النفطَ قَدَرْ . .
فأنا لا أعبدُ النارَ . .
ولا أرمى بأطفالى طعامًا للهَبْ
يا بلادى :
أخرجى من نَشْرة العُمْلاتِ . . والأسْهُمِ . .
وانضمّى إلى جيشِ العَرَبْ . .
إنَّ فى لبنانَ أطفالاً يموتونَ ،
وعِرْضًا يُغْتَصَبْ . . .
إغْضَبى أيّتها الأرضُ ،
فإنَّ الأرضَ لا يفلحُها إلاَّ الغَضَبْ . .

٦

كلَّما أبصرتُ فى الحُلْم صلاحَ الدينِ . .
يستجدِى فُتَاتَ الخبز فى القُدْس ،
ويَسْتَعطى على باب السيوف العربيَّهْ
كلَّما شاهدتُهُ . .
تائهًا ، يسألُ فى الصحراء عن أحياء طَىٍّ
وتميمٍ ، وغزيَّهْ . .
كلَّما شاهدتُهُ فى مركز البوليس ،
مرّميًا على الحائطِ من غير كفيلٍ أو هويَّهْ
صحتُ من أعماق جرحى :
أيُّها العصرُ الشعوبىُّ الذى
صارَ فيه السيفُ يحتاجُ لإبرازِ الهويَّهْ . .

٧

إنَّنى بنتُ الكويتْ

كلَّما مرَّ ببالى ، عربُ اليوم ، بكَيتْ . .

كلَّما فكّرتُ فى حالِ قُريشٍ ،

بعدَ أن ماتَ رسولُ اللهِ ،

خانتْنى دموعى ، فَبكيتْ . .

كلَّما أبصرتُ هذا الوطنَ الممتدَّ

بين القَهْرِ والقَهْر . . . بكيتْ

كلَّما حدّقتُ فى خارطة الأمسِ

وفى خارطةِ اليوم . .

بكَيتْ . . .

كلَّما شاهدتُ عُصْفُورًا بروما

أو بباريسَ . . يُغنّى

دون أن يشعرَ بالخوفِ . . بكَيتْ

كلَّما شاهدت طفلاً عربيًا

يشربُ البغْضَاء من ثدى الإذاعاتِ . .

بكَيتْ . .

كلَّما شاهدتُ جيشًا عربّياً

يُطلِقُ النارَ على الشعب . . بكيتْ

كلَّما حدّثنى الحاكمُ عن عشْقِ الجماهير لَهُ

وعن الشُورى .. وعن حريّة الرأى .. بكَيتْ
كلَّما استَجْوبَنى بوليسُ قطرٍ عربىٍّ
عن تفاصيل جوازى ...
عُدْتُ من حيثُ أتيتْ ..

٨

إنّنى بنتُ الكويتْ
هل من الممكن أن يصبحَ قلبى ؟
يابسًا .. مثلَ حصانٍ من خَشَبْ
باردًا ..
مثلَ حصانٍ من خَشَبْ
هل من الممكن إلغاءُ انتمائى للعَرَبْ ؟
إنَّ جسمى نَخْلةٌ تشربُ من بحرِ العَرَبْ .
وعلى صفحة نفسى ارتسمتْ
كلُّ أخطاءِ ، وأحزانِ ،
وآمالِ العَرَبْ ...

سوفَ أبقى دائمًا . .

أنتظرُ المهدىَّ يأتينا

وفى عَيْنَيْهِ عصفورٌ يغنّى . .

وقَمَرْ . .

وتباشيرُ مَطَرْ . .

سوف أبقى دائمًا . .

أبحثُ عن صفصافةٍ . . عن نجمةٍ . .

عن جنَّةٍ خلفَ السرابْ . .

سوفَ أبقى دائمًا . .

أنتظرُ الوردَ الذى

يطلعُ من تحت الخَرَابْ . . .

٢٧ - كُويتيّة

١

يا صديقى :
فى الكُويتيَّات شىءٌ من طباع البحر، فادْرُسْ
- قبلَ أن تدخلَ فى البحرِ - طِبَاعى . .
يا صديقى :
لا يغُرَّنْكَ هدوئى . .
فلقد يولدُ الإعصارُ من تحت قِنَاعى . .
إنّنى مثلُ البحيراتِ صفاءً
وأنا النارُ . . بعَصْفى
واندلاعى . . .

٢

يا صديقى :

إن عصرَ النَفْط ما لَوَّثَنى
لا ولا زَعْزَعَ باللهِ اقتناعى
أنت لو فتَّشتَ فى أعماق رُوحى
لوجدتَ اللُؤلُؤَ الأسودَ . . .
مزروعًا بقاعى . . .
يا صديقى :
يا الذى أعشقُهُ حتى نُخَاعى
كلُّ ما حولى . . .
فُقَاعاتٌ من الصابونِ والقَشِّ ،
فكُنْ أنتَ شِراعى . . .

٣

يا صديقى :
الكُويتيَّةُ - لو تفهمُها -
نَهْرٌ من الحُبِّ الكبيرِ . . .
والكُويتيَّةُ إعصارٌ من الكُحْلِ ،
- حماكَ اللهُ من أمطارِ كُحْلى وعُطورى -

والكُويتيَّةُ تهواكَ بلا عَقْلٍ . . .
فهل تعرفُ شيئًا عن شُعُورى ؟
فأنا فى غَضَبى عُودُ ثقابٍ
وأنا فى طَرَبى غَزْلُ الحريرِ . . .
يا صديقى :
الكُويتيَّةُ تبقى دائمًا صامتةً
فمتى تقرأُ ما بينَ السُطُورِ ؟
فتمدَّدْ تحت أشجار حنانى
وتعطَّرْ ببَخُورى . . .
فعلى أرضكَ ألقيتُ بُذُورى
وعلى صدركَ
تمتدُّ جُذُورى . . .
يا صديقى :
الكُويتيَّةُ أرخَتْ شَعْرَها الليلىَّ كالجسرِ . . .
فلا تعبأْ بحراَّسى . .
وجُنْدى . . .
وستُورى . . .
والكُويتيَّةُ مَلَّتْ من غُبار (الطُوزْ) . .
واشتاقتْ إلى ظلِّ البساتينِ ،

وإيقاعِ النوافيرِ ،
وأصواتِ الطُّيُورِ . . .
والكُويتيَّةُ . . .
فى معركةٍ كُبرى مع التاريخِ - لم تُحْسَمْ -
فهل أنتَ نصيرى ؟
الكُويتيَّةُ . . .
سمَّتْكَ أميرًا يا أميرى . . .
فتصرَّفْ بمقاديرُ العُصُورِ . . .
وتصرَّف بمصيرى . . .

٤

يا صديقى :
أنا ألفُ امرأةٍ فى امرأةٍ
وأنا الأمطارُ
والبَرْقُ
وموسيقى الينابيعِ
ونَعْنَاعُ البرارى .
وأنا النَخْلةُ فى وحْدَتِها

وأنا دَمْعُ الرباباتِ ،
وأحزانُ الصحارى .

٥

يا صديقى :
يا الذى يُخْرِجُ من منديلهِ ضَوْءَ النَهَارِ
يا الذى أتبعُهُ حتى انتحارى
كم تمنّيتُ بأن تصبحَ فى يومٍ من الأيامِ ،
قُرْطى . . . أو سوارى . . .

٦

يا صديقى :
إنّنى اخْتَرْتُكَ من بين الملايين ،
فَهَنّئْنِى . . على حُسْن اختيارى . . .

٢٨ - وردة البحر

١

كُوَيْتُ ، كُوَيْتْ
موانىءُ أبحرَ منها الزَمَان
وواحةُ حُبٍّ ، وَبَرٌّ أمانْ
وشعبٌ عظيمٌ
ورَبٌ كريمٌ
وأرضٌ يُسيُّجها العُنْفُوانَ

٢

كُوَيْتُ ، كُوَيْتْ
شواطىءُ مصقولةٌ كالمرايا
وبحرٌ يوزّعُ كلَّ صباحٍ علينا

أُلوفَ الهدايا
وشايُ أبى
وابتسامةُ أمِّى
ومحفظتى ، وجديلةُ شَعْرى
وكوبُ الحليب قُبَيْلَ الذهاب إلى المدرسَهْ
وأوّلُ مكتوب حُبٍّ أتانى
فأشْعَلَ عاصفةً فى دمايا . . .

٣

كُوَيْتُ ، كُوَيْتْ
أشيلُكِ . .
- حيث ذهبتُ - حجابًا بصدرى
أشيلُكِ . .
برعُمَ وردٍ بأعماق شَعْرِى
أشيلُكِ فى القلبَ وَشْمًا عميقًا
لآخرِ . .

آخرِ . .
آخرِ أيَّام عُمْرى . . .

٤

كُوَيْتُ ، كُوَيْتْ
هنا . . ابتدأتْ رحلةُ السندبادْ
هنا . . وردةُ البحر قد أزهرتْ
وراحَ ابنُ ماجدَ
يقطفُ نجمًا . . ويزرعُ نَخْلاً . .
ويخلقُ فى لحظاتِ التحدّى بلادْ . .
هنا الشعرُ والنخلُ يغتسلانْ معًا
فى مياه الخليجْ . .
فجاءَتْ رَبَابُ إلي وعدِنا . .
وبانتْ سعادُ . .

٥

كُوَيْتُ ، كُوَيْتْ
أُحبّكِ .. كالشمسِ تُعطِينَ ضوءَكِ للعالمينْ
أُحبّكِ كالأرضِ ..
تعطينَ قمحَكِ للجائعينْ ..
وتقتسمين الهمومَ مع الخائفينْ ..
وتقتسمين الجراحَ مع الثائرينْ ..

٦

كُوَيتُ ، كُوَيْتْ
لحريّة الرأى فيكِ تراثٌ طويلْ
وطفلُ المحبَّة بين ذراعيكِ طفلٌ جميلْ
وزَرْعُ العروبةِ فيكِ قديمٌ .. قديمٌ ..
كهذا النخيلْ ..

فظّلى كما كنتِ قلبًا كبيرًا . .
ونجمًا مُنيرا . .
وكُونى المنارةَ للضائعينْ
وكُونى الوسادةَ للمُتْعَبينْ
وكُونى كأيَّةِ أُمٍّ . .
تعانقُ أولادَها أجمعينْ . .

٧

كُوَيتُ ، كُويتْ
أُحبُّ ابتسامتكِ الطيِّبَهْ
وإيقاعَ صوتكِ ، إذْ تضحكينْ
أُحبُّكِ . . صامتةً مُتْعَبَهْ
وأعماقَ عينيْكِ إذْ تحزنينْ
أُحبُّكِ فى غُربتى وارتحالى
وأشتاقُ كلَّ حصاةٍ . . وكلَّ حَجَرْ
أُحبُّكِ رَغْمَ حراب المغُولْ

ورَغْمَ جيوش التَتَرْ
أُحبُّكِ حين تكونُ السماءْ
مطرّزةً بالرعود ، ومثقوبةً بالشَرَرْ
فكيف تصيرين أجملَ عند اشتداد الخَطَرْ ؟

٨

كُوَيْتُ ، كُويتْ
لقد قرَّرَ العالمُ العربىُّ اغتيالَ الكلامْ
وقَرَّرَ أيضًا . .
إبادةَ كلِّ الطيور الجميلةِ ، كلِّ الحمامْ
ونحن طيورٌ مُشَرَّدَةٌ لا تريدُ سوى حقّها بالكلامْ
ونحن طيورٌ مثقّفةٌ لا تُطيقُ . .
غسيلَ الدماغِ ، وكَسْرَ العظامْ
ونحن حروفٌ مقاتلةٌ . .
سوف تهزمُ بالشِعْر كلَّ عصور الظلامْ
ويُسْعدنى أن تظلَّ بلادى

ملاذَ العصافير من كلِّ جِنْسٍ
وبيتَ المغنّينَ والشُعَراءْ . .
ويُسعدنى أن يكونَ ترابُ بلادى
مزارَ البنفسج والشُهَدَاءْ
وسقْفًا ، لمن تركتهمْ حروبُ العروبة دونَ غِطاءْ . .
ويُسعدنى أن تظلَّ بلادى جزيرةَ حرّية رائعَهْ
بها الفجرُ يطلعُ حين يشاءْ
بها البحرُ يهدرُ حين يشاءْ
بها الموجُ يغضبُ حين يشاءْ
ويُسعدنى أن تظلّ بلادى فضاءً رحيبًا
ونافذةً نتنشَّقُ منها الهواءْ
فعصرُ المباحث صادرَ منّا السماءْ
وصادر منّا الحقائبَ ، صادرَ منّا السَفَرْ
وأدخلَ للسجن ضوءَ القَمَرْ !!

٢٩ - فيتو ... على نُون النِسْوة ...

١

يَقُولونَ :

إنَّ الكتابةَ إثْمٌ عظيمٌ . . .

فلا تَكْتُبى .

وإنَّ الصلاةَ أمامَ الحروفِ . . . حَرَامٌ

فلا تَقْربى .

وإنَّ مِدادَ القصائدِ سُمٌّ . . .

فإيّاكِ أن تَشْرَبى .

وها أَنَذَا

قد شربتُ كثيراً

فلم أتسمَّمْ بحبر الدواةِ على مكتبى

وها أَنَذَا . . .

قد كتبتُ كثيراً

وأضرمتُ فى كلِّ نجمٍ حريقًا كبيرًا
فما غضبَ اللهُ يومًا علىَّ
ولا استاءَ منّى النبىّ . . .

٣

يقولونَ :
إنَّ الكلامَ امتيازُ الرجالِ . . .
فلا تنطقى !!
وإنَّ التغزُّلَ فنُّ الرجالِ . . .
فلا تَعْشَقى !!
وإنَّ الكتابةَ بحرٌ عميقُ المياهِ
فلا تَغْرَقى . . .
وها أَنَذَا قد عشقتُ كثيرًا . . .
وها أَنَذَا قد سَبَحتُ كثيرًا . . .
وقاومتُ كلَّ البحارِ ولم أغْرَقِ . . .

٣

يَقُولُونَ :

إنِّى كسرتُ بشعرى جدارَ الفضيلَهْ

وإنَّ الرجالَ هُمُ الشُعَراءْ

فكيفَ ستُولَدُ شاعرةٌ فى القبيلَهْ ؟؟

وأضحكُ من كلِّ هذا الهُرَاءْ

وأسخَرُ ممَّنْ يريدونَ فى عصرِ حرب الكواكبِ . .

وَأْدَ النساءْ . . .

وأَسأَلُ نفسى :

لماذا يكونُ غناءُ الذُكُورِ حلالاً

ويصبحُ صوتُ النساءِ رذيلَهْ ؟

٤

لماذا ؟

يُقيمونَ هذا الجدارَ الخرافيَّ
بينَ الحقولِ وبينَ الشجرْ
وبينَ الغيومِ وبينَ المطرْ
وما بينَ أُنثى الغزالِ ، وبينَ الذكرْ ؟
ومن قالَ : للشعرِ جنسٌ ؟
وللنثرِ جنسٌ ؟
وللفكرِ جنسٌ ؟
ومن قالَ إن الطبيعةَ
ترقصُ صوتَ الطيورِ الجميلَهْ ؟

يقولونَ :
إنّي كسرتُ رُخامةَ قبري ....
وهذا صحيح .
وإنّي ذبحتُ خَرافيشَ عصري ....
وهذا صحيح .

وإنّي اقتلعتُ جُذُورَ النفاقِ بشِعْرِي
وحطّمتُ عصرَ الصفيحْ
فإن جرّحوني ....
فأجملُ ما في الوجودِ غزالٌ جريحْ
وإن صلّبُوني .. فشكرًا لهُمْ
لقد جعلوني بصفِّ المسيحْ ....
يَقُولُونَ ::
إن الأنوثةَ ضعفٌ
وخيرُ النساءِ هي المرأةُ الراضيهْ
وإنَّ التحرُّرَ رأسُ الخطايا
وأحلى النساءِ هي المرأةُ الجاريهْ
يَقُولُونَ ::
إنَّ الأديباتِ نوعٌ غريبٌ
من العُشْبِ .. ترفُضُهُ البادِيهْ
وإنَّ التي تكتُبُ الشعرَ ....
ليستْ سوى غانيهْ !!!
وأضحكُ من كُلِّ ما قيلَ عنّي
وأرفُضُ أفكارَ عصرِ التنكْ

ومنطقَ عصر التَنَكْ
وأبقى أُغنّى على قِمّتى العاليَهْ
وأعرفُ أنَّ الرعودَ ستمضى ...
وأنَّ الزوابعَ تمضى ...
وأنَّ الخفافيشَ تمضى ...
وأعرفُ أنَّهُمُ زائلونْ
وأنّى أنا الباقيَهْ ...

٣٠ - من امرأة ناصرية..
إلى جمال عبد الناصر..

١

كنّا كبارًا معهُ فى كُتُب الزَمَانْ
كنا خيولاً تُشْعِلُ الآفاق عنفوانْ
كان هو النَسْرَ الخرافىَّ الذى يشيلُنا
على جَنَاحيْهِ ، إلى شواطىء الأمانْ .
كان كبيرًا كالمسافات ،
مُضيئًا كالمَنَارات ،
جديدًا كالنبُوَّات ،
عميقَ الصوت كالكُهَّانْ
وكان فى عَيْنَيْهِ بَرْقٌ دائمٌ
يشبهُ ما تقولُهُ النيرانُ للنيرانْ

٢

كنّا شُموسًا معَهُ . .
توزّعُ الضوءَ على مساحةِ الأكوانْ
كنّا جبالاً معهُ . . من حَجَرِ الصوَّانْ
وكان يحمينا من الركوعِ والهَوَانْ .
كُنَّا نُسمَّى باسمِهِ . .
إذا نسينا مرةً أسماءَنا . .
كنَّا نناديه جميعًا ، يا أبى
إذا أضعنا مرةً آباءَنا . .
فَهْوَ الذى أطلقنا من رقِّنَا
وهو الذى حرَّرنا من خوفِنا
وهو الذى
أيْقَظَ فى أعماقِنا الإنسانْ . .

٣

كانَ هو الأجملَ فى تاريخنَا
والنَخْلةَ الأطولَ فى صحرائنا
كان هو الحُلْمَ الذى يُورق فى أهدابِنا
كانَ هو الشِعْرَ الذى يولدُ مثل البرق فى شفاهِنا . .
كانَ بنا يطيرُ . . فوقَ جغرافيّةِ المكانْ
مُسْتَهزِئًا من هذه الحواجز المصطَنَعَهْ . .
من هذه الممالكِ المُخْتَرَعَهْ
من هذه الملابسِ الضيّقةِ ، المُضْحِكةِ . .
المرقّعَهْ . .
من هذه البيارقِ الباهتةِ الألوانْ .

٤

كانَ على صورتنا . .

كنّا على صُورتِه
كانَ يرى التاريخَ فى نَظْرَتِنَا
كنّا نرى المستقبلَ الجميلَ فى نَظْرَتِه . .
جبهتُنا مرفوعةٌ
تَسْتَلْهمُ الشُمُوخَ من جبهتِه
قَبْضَتُنا قويّةٌ
تَسْتَلْهمُ القوةَ من قَبضَتِه
أولادُنا قد رضعوا الحليبَ من ثورتِه
كان هو القوّةَ فى أعماقِنا
واللهبَ الأزرقَ فى أحداقِنا
والريحَ ، والإعصارَ ، والطُوفَانْ .

كانَ هو المَهْدِىَّ فى خيالِنَا
وكانَ فى معطفه يُخَبّىءُ الأمطارْ
وكان إذْ ينفخُ فى مزمارِه . .

تتبعهُ الأشجارْ
وكان فى جبينه سنابلٌ وحنطةٌ . .
وفى رنين صوته ما يُشبه الأذانْ
وكان فى قدرته أن يُطلعَ السنابلْ
ويجمعَ القبائلْ
ويستثيرَ نَخْوَةَ الفرسانْ
ويُرْجِعَ المُلْكَ إلى بيت بنى عدنانْ . .

٦

كان هو النَجْمَةَ فى أسْفَارِنا
والجُمْلَةَ الخضراءَ فى تُراثِنا
كانَ هو المسيحَ فى اعتقادِنا
فهو الذى عَمَّدنا
وهو الذى وحَّدنا
وهو الذى علَّمَنَا
أن الشعوبَ تسجنُ السجَّانْ

وأنها حينَ تجوعُ ،
تأكلُ القضبانْ . . .

٧

يا ناصرَ البعيدَ . . قد أوجَعَنا الغيابْ
نمدُّ أيدينا إليكَ كلّما . .
حاصَرَنا الصقيعَ والضبابْ . .
نبحثُ عن عينيْكَ فى اللَّيلِ . .
ولا نُمْسِكُ إلاَّ الوهْمَ والسرابْ
يا ناصرَ العظيمَ . .
أينَ أنتَ . . أين أنتْ
بَعْدَكَ لا شِعْرٌ ، ولا نثرٌ ، ولا فِكرٌ ، ولا كتابْ
بَعْدَكَ نامَ السيفُ فى قرابِهِ
واسْتَنْسَرَ الذُبابْ . . .

٨

يا ناصرَ العظيمَ . .

هل تقرأُ فى منفاكَ أخبارَ الوطنْ ؟

فبعضُهُ مُغْتَصَبٌ . .

وبعضُهُ مُؤجَّرٌ . .

وبعضُهُ مُقَطَّعٌ . .

وبعضُهُ مُرقَّعٌ . .

وبعضُهُ مُطَبَّعٌ . .

وبعضُهُ مُنْغَلَقٌ . .

وبعضُهُ مُنْفَتِحٌ . .

وبعضُهُ مُسَالِمٌ . .

وبعضُهُ مُسْتَسْلِمٌ . .

وبعضُهُ ليس له سقفٌ . . ولا أبوابْ . .

يا ناصرَ العظيمَ ،

لا تسألْ عن الأعرابْ

فإنّهم قد أتقنوا صناعةَ السِبَابْ
وواصلوا الحوارَ بالظفرِ وبالأنيابْ
وحاصَرُوا شعوبَهم بالنار والحِرابْ
يا ناصرَ العظيمَ ..
سامحنى .. فما لدىَّ ما أقولُهُ
فى زَمَنِ الخَرَابْ ..

٣١ - إلى تقدمىّ .. من العصور الوسطى

١

لو كنتَ تعرفُ كم أُحبُّكَ . .
لم تعامِلْنى كفِرْعُونٍ . .
ولم تفرضْ شروطَكَ مثلَ كُلِّ الفاتحينْ . .
لو كنتَ تعرفُ كم أحبُّكَ . .
لم تُكرِّسْنى كأرضٍ للفلاحةِ . .
شأنَ كلِّ المالكينْ . . .
لو كنتَ تعرفُ كم أحبُّكَ . .
لم تُعَامِلْنى ككرسىٍّ قديمٍ . .
أو كنَصٍّ فى تُراث الأَقْدَمينْ . . .
لو كنتَ تعرفُ كم أحبُّكَ . .
ما قَمَعْتَ . .

ولا بَطَشْتَ
ولا لجأتَ لحَدِّ سَيْفِكَ . .
مثلَ كُلِّ الحاكمينْ . . .

٢

يا سيِّدى :
إن كنتَ تعتبرُ الأُنوثةَ وَصْمَةً
فوقَ الجبينِ ،
فما الذى أبقيتَ للمتحجِّرينْ ؟
يا أيُّها الرجلُ الذى احْتكَرَ الذكاءْ
يا أيُّها القَمَرُ الأنانىُّ
الذى اغتصَبَ السيادةَ فى السماءْ
يا مَنْ تُعقِّدكَ انتصاراتى . . .
وتكرهُ أن ترى حولى ،
ألوفَ المُعْجَبِينْ . .
يا مَنْ تخافُ تفوُّقى . .
وتألُّقى . .

وتخافُ عطرَ الياسمينْ
هل ممكنٌ . .
أن يكرهَ الإنسانُ عطرَ الياسمينْ ؟

٣

أمثقَّفٌ ؟؟
ويقولُ فى وَأْدِ النساءِ . . .
فأىُّ ثقافةٍ هذى . . وأىُّ مثقَّفينْ ؟
أمثقَّفٌ ؟؟
ويريدُ أن يُبقى حبيبتَهُ بِسِرْداب السنينْ ؟
أتقدمىٌّ فى كتابتِه ؟
ورَجْعىٌّ بنظرته إلى الأنثى
فإن ضحكتْ له امرأةٌ
يخافُ عذابَ ربِّ العالمينْ !
يا مَنْ يُنادى بالتسامحِ ، والعدالةِ ،
والتحررِّ فى الهَوَى .

آمنتُ أنَّكَ سيّدُ المتعصِّبينْ . .

ما كانَ يخطرُ لى بأنَّكَ جاهلىٌّ . .

من غُلاةِ الجاهلينْ

فكرتُ أنَّكَ طَبْعةٌ أُخرى

ولكنِّى وجدتُكَ . .

طَبْعَةً عاديّةً كالآخرين !! . . .

٣٢ - وصل السيف إلى الحلق ..

١

وَصَل السيفُ إلى الحَلْق . .
وما زال لدينا شعراءٌ يكتُبُونْ
وَصَل السُلُّ إلى العَظْم ،
وما زال لدينا شعراءٌ يكذِبُونْ
ويقولون على الأوراق . . . ما لا يفعلونْ
ما الذى نفعلُ فى المِرْبَدِ ؟
والآفاقُ جَمْرٌ ، وشظايا ، ودماءْ
ضَجِرتْ منّا كراسينا . .
فما نعرفُ صيفًا ، أو شِتَاءْ
يا زمانَ الصَّرْف ، والنَّحْو ، شَبِعْنا عَبَثًا
وكلامًا فارغًا . .
ووشايات نساءْ . .

أعْطِنى سَيفًا . .
وخُذْ منّى دواوينَ جميع الشُعَرَاءْ
أَعْطِنى عَدْلاً . .
وخُذْ منّى تعاليمَ جميع الأنبياءْ
أَعْطِنى خبزًا . .
فما يُشْبِعُنى خبزُ السماءْ
أَعْطِنى الشعبَ . .
وخُذْ تيجانَ كُلِّ الخُلَفاءْ . .
ما الذى نفعلُ فى المِربدْ صبحًا ومساءْ ؟
وعلى أىِّ مَقَامٍ سيُغنّى المُطْرِبُونْ ؟
وعلى أىِّ سريرٍ لُغَوىٍّ . .
سينامُ النائمونْ ؟
أعْطِنى شبرًا من الأرض يُسمَّى وَطَنًا
ما به مشنقةٌ . . أو مُخْبِرُونْ
أَعْطِنى شِبْرًا من الأرض يُسمَّى وطنًا
لا تُغطّيه المنافى والسُجُونْ . . .
وَصَل السيفُ إلى الحَلْق . . .
وما زال لدينا شعراءٌ يكتُبُونْ . .

وصَل السُلُّ إلى العَظْم . .
وما زال لدينا شعراءٌ يكذبونْ
ويقولونَ على الأوراق ما لا يفعلونْ .

٢

أيُّها المِرْبَدُ . .
خَلِّصْنَا بحقِّ اللهِ رَبِّ العالمينْ
من بُطُولاتِ السُكَارى
وحِوَارِ الميِّتِينْ
الديناصُورَاتُ ما زالتْ هُنا . .
تأكُلُ القاعةَ . . والأبوابَ . . والمُستمِعينْ
الديناصُورَاتُ تنقضُّ علينا
بالقوافى ، والهراوات الثقيلَهْ
بعدما غابتْ ملايينَ ملايينَ السنينْ
أيُّها المِرْبَدُ ،

أوقفْ هذه المذبحةَ الكُبْرى

وأغلقْ خَيْمَةَ المرتزقينْ

رجعَ الموتى . . ولكنْ بثيابِ المُحْدَثينْ . .

فاعلاتُنْ . فاعلاتُنْ . فاعِلاَتْ .

رَمَلٌ . في رَمَلٍ . في رَمَلِ .

رَجزَ . في رجزٍ . في رَجَزِ

خَبَبٌ . فى خَبَبٍ . في خَبَبِ .

إنّها معركةُ الوَزْنِ . .

فمن يرفعْ عن أعناقنا سيفَ الرنينْ ؟

يا زمانَ الوشْيِ . . والترصيعِ . . والتشطيرِ .

والتَرْبيعِ . . والتَخْميس . .

والصُنَّاعِ . . والمُحْتَرِفينْ .

وَصَلَ القَيءُ إلى الحُلْقُومِ . .

فليسْقُطْ جميعُ الناظمينْ

يا زمانَ الإنهياراتِ ، شَبِعنا

من دكاكين السياساتِ ، وغشِّ اللاعبينْ

يا زمانَ الإنكسارات ، لماذا ؟

يلثُمُ الشِعْرُ نعالَ الفاتحينْ ؟

يا زمانَ القَتْلِ في (صَبْرا) و (شَاتِيلا) . .

لماذا يسكتُ الشعرُ أمام الذابحينْ ؟

يا زماناً ما له وصفُ ، لماذا ؟

تَلْحَسُ الكِلْمَةُ أقدامَ أمير المؤمنينْ ؟ . .

٣

أيُّها المِرْبَدُ .

ها نحن سقطنا بين أنياب النُحاةْ

ما فياتٌ . مافياتْ

أصبحَ الشِعْرُ بأيدي المافياتْ

أصبح النقْدُ بأيدي المافياتْ

فاعلاتُنْ . فاعلاتُنْ . فاعلاتْ

يا زمانَ العَرَب الرُحَّل .

يا عَصْرَ المنافي والشَتَاتْ

يا زماناً عربياً . .

لم تَعُدْ تنفعُ فيه الكلماتْ . .

يا زمانَ القُبْحِ . . من أين يجيءُ المبدعُونْ ؟

في بلادي ،

وعلى أيِّ صليبِ من دُمُوعٍ يُولَدونْ ؟

أعْطِني شِبراً من الأرض يُسَمَّى وَطَناً

ما به مشنقةٌ . . أو مُخْبِرُونْ

أعطنى شبراً من الأرضِ يُسمَّى وطناً

لا تُغَطّيهِ المنافى والسُجُونْ . .

وَصَلَ السيفُ إلى الحَلْقِ . .

وما زال لدينا شعراء يكتبونْ

وصل السُلُّ إلى العَظْم ،

وما زال لدينا شعراءٌ يكذبونْ

ويقولونَ على الأوراقِ ، ما لا يفعلونْ . .

٤

أيُّها السادةُ :

ماذا يفعل الشِعْرُ هنا ؟

بين ريحان البساتين . . ورَيْحان الخُدُود

ما الذى يُنْشِدُه الشاعرُ ،

فى عصر الخيانات ، وفى عصر الجُحُودْ ؟

أتُرى نحن نُغنِّى عَصْرَنا

أم نُغنِّى عصرَ عادٍ وثَمُودْ ؟

يا زماناً

ما لهُ لونٌ ، ولا طَعْمٌ ، ولا رائحةٌ

رَحَلَ الأعرابُ عنهُ ، وأتى المُسْتَعرِبُونْ

واستقالَ السيفُ من أحلامِه ،

واستقالَ الفاتِحُونْ

وَصَلَ السيفُ إلى الحَلْق . .

وما زال لدينا شعراءٌ يكتُبونْ

وَصَلَ السُلُّ إلى العَظْمِ .

وما زال لدينا شعراءٌ يكذِبُونْ

ويقولونَ على الأوراقِ ، ما لا يفعلونْ . .

أيُّها الشِعْرُ الذى

يُحرِقُ بالكبريتِ أشجارَ السَمَاءْ

يا الذى يأكُلُ من قلبى صباحاً ومساءْ

يا الذى يحفرنى حتى العَيَاءْ . .

كيف ترضى موقفَ الذُلِّ ،

أليسَ الشعرُ إبْنَ الكبرياءْ ؟

٣٣ - كهرباء

فى عزّ الصيفْ . .

تصطدمُ أنوثتى

بقطرة عَرَقٍ صغيرَهْ

تكوى على صدركْ .

وأنت قادمٌ من جهة البحرْ

فيتكهربُ العالْم . .

وتهطلُ الأمطارْ . .

٣٤- قراءة غير تقليدية

لا تقرأني

من اليمين إلى اليسارْ

على الطريقة العربيَّهْ

ولا من اليسار إلى اليمينْ

على الطريقة اللاتينيَّهْ

ولا من فوق . . إلى تحتْ

على الطريقة الصينيَّهْ

إقرأني ببساطَهْ

كما تقرأ الشمسُ أوراقَ العشبْ

وكما يقرأ العصفورُ كتابَ الوردهْ .

٣٥ - الديمقراطية

ليستِ الديمقراطيةُ

أن يقولَ الرجلُ رأيَه فى السياسهْ

دون أن يعترضَهُ أَحَدْ

الديمقراطيةُ أن تقولَ المرأةُ

رأيَها فى الحُبِّ . .

دونَ أن يقتُلَها أَحَدْ !!

٣٦ - أعلى شجرةٍ فى العالم

عندما كنت طفلهْ . . .

كنت أتصورُ أن الشَجرَهْ

هى أعلى مكانٍ فى العالَم . . .

وعندما أصبحتُ امرأهْ

وتسلَّقتُ على كتفيْكْ

عرفتُ أنَّكَ أكثرُ ارتفاعاً من كلِّ الشَجَرْ . .

وأنَّ النومَ بين ذراعَيْكْ . . .

لذيذٌ . . . لذيذْ

كالنومِ تحتَ ضوء القَمَرْ . . .

٣٧- لا أسمح

لا أسمحُ للقبيلهْ ..

أن تتدخَّلَ بينى وبينكْ

أنتَ قبيلتى ... !!!

٣٨- إذا

إذا قرَّرتَ يوماً

أن تكرَهَنى . . .

فاستعملْ مسدَّساً

كاتِماً للأَلْم . .

٣٩- رائحة

عندما أودِّعكَ فى المطارْ . .

ويغيبُ وجهُكَ فى المجهولْ . .

تنتشرُ رائحةُ حنينى إليكْ

ويَشُمُّ الناسُ فى قاعةِ المسافرينْ

رائحة غريبَهْ . .

رائحةَ امرأةٍ تحترقْ . . .

٤٠ - تعريفٌ جديدٌ للعالم الثالث

لأنَّ الحبَّ عندنا

إنفعالٌ من الدرجة الثالثَهْ . . .

والمرأةَ مواطنةٌ من الدرجة الثالثهْ . . .

وكُتُبَ الشعرِ ، كُتُبٌ من الدرجة الثالثهْ . . .

يسمونَنا شعوبَ العالمِ الثالثْ . . .

٤١- يخترع أنبياءَه

كلُّ الديَاناتِ تنتقلُ إلينا بالورائَهْ . . .

إلا الحبَّ . .

فهو الدينُ الوحيدْ

الذى يخترعُ أنبياءَهْ . . .

٤٢ - كيمياء

الحبُّ هو انقلابٌ فى كيمياء الجسد

ورَفْضٌ شجاعْ

لروتين الأشياءْ

وسُلطة البيولوجيا . .

والشوقُ إليك عادةٌ ضارَّة

لا أعرفُ كيف اتخلَّصُ منها . .

وحبُّكَ معصيةٌ كبرى

لا أتمنّى أن تُغْفَر . .

٤٣ - الميناء الحرّ

طَلَبتْ سفنٌ كثيرهْ

اللجوءَ إلى مرافىء عينىَّ

فرفضتُها جميعاً

مراكبُكَ وحدَها . . .

هى التى تملكُ حقَّ اللجوءْ

إلى مياهى الأقليميهْ . . .

مراكبُكَ وحدَها . . .

هى التى تسافرُ فى دمى . . .

دونَ استئذانْ . . .

٤٤ - نُبُوءة

وَشَمَتْكَ أُمّى على ذاكرتى
قبلَ أن أُولَدْ
وتنبَّأتْ بأن تكونَ لى . . .
فاستَعْجَلتُ الولادَهْ . . .

٤٥ - أطولُ نهرٍ فى العالم

عندما أرقصُ مَعَكْ

يصبحُ خَصْرى سُنْبُلَةَ قمحْ

ويصبحُ شَعْرى

أطولَ نهرٍ فى العَالَم . . .

٤٦ - حاولْ أن تخترعَنى

تعبتُ من الكلام التقليديِّ

عن الحُبّ

تعبتُ من غَزَل الموتى . . .

وأزهار الموتى . .

والجلوس على طاولة العشاءْ . .

كلَّ ليلَهْ

مع قيس بن الملوَّحْ

وجميل بُثَينَهْ

وبقيةِ الأعضاء الدائمينْ

فى نادى الحُبّ العذرىّ

حاولْ أن تخرجَ عن النصّ قليلاً . .

حاول أن تخترعَنى . .

٤٧ - وطني أنت

لم يبقَ لى وطنٌ أعودُ إليهِ ..
فاجْعَلْ من ذراعَيْكَ الوَطَنْ
هُمْ صادَرُوا زَمَنى
فأصبَحْتَ الزَمَنْ .

٤٨- إجازة

أتمنّى أن تُعطينى إجازهْ

ولو لبضعةِ أيامْ

أرمّمُ فيها كلَّ هذا الخرابْ

الذى تركتَهُ على شفتىّ

وأعيدُ النظرَ فى هذه الفوضى

التى تركتَها فى كلّ مكانْ

على جدران غرفتى

وعلى جدران قلبى

أتمنّى أن تبتعدَ قليلاً

حتى أكتشفَ الفارقْ

بين رائحة قهوتى

ورائحةِ دمى . . .

٤٩ - حلم صغير

أتركني نائمةً خمسَ دقائقْ

على كتفَيكْ

حتى تَتَوَازَنَ الكرةُ الأرضيَّهْ .

٥٠ - السفر على الأهداب

مشيتُ إليكَ على أهدابى

ولم أصِلْ

ومشيتُ على دموعى

ولم أصِلْ

ومشيتُ على كبريائى

ولم أصِلْ

فيا مَنْ تسدُّ مفارقَ الدروبْ

وتلعبُ بإشارات المرورْ

هل يمكنكَ أن تدُلّنى على طريقْ ؟

لا يوصلنى إلى ذراعيكْ . .

لا يوصلنى إلى الهاويهْ . .

٥١- أمومة

أحياناً

يخطرُ لى أن ألِدَكْ

لأحمِّمَكْ . .

وأُنَشِّفَ قَدَمَيْكْ

وأُمشِّطَ شَعْرَكَ الناعِمْ

وأغنِّىَ لكَ قبلَ أن تنامْ . . .

٥٢- إبتزاز

كلما جرحتَنى بسكاكين كلماتِكْ

تقولُ لى : اغفرى لى طفولتى

فإلى متى تستغلُّ أمومتى ؟

يا سيّدى . .

إلى متى ؟؟

٥٣- حلم ١

حلمتُ ليلةَ أمسْ

بأننى أصبحْتُ سنبُلةْ

فى برارى صدرِكْ . .

خِفْتُ أن أقُصَّ عليكَ الحُلُمْ

حتى لا تأخُذَنى إلى خبَّاز المدينهْ

فيحولَّنى إلى رغيفٍ ساخنْ .

وتأكُلَنى . .

٥٤- حلم ٢

حلمتُ ليلةَ أمسْ
بأننى أصبحتُ سَمَكَةْ
تسبحُ فى مياهِ عيْنَيْكَ الصافَيتيْنْ
خفتُ أن أقصَّ عليكَ الحُلُمْ
حتى لا تُغْلِقَ أهدابَ عينيكَ علىَّ
وتخْنُقَنى . .

٥٥- حلم ٣

حلمتُ ليلةَ أمسْ

بأنّني قصيدةٌ سريّةْ

مخبوءةٌ في أحدِ جواريكْ

خفتُ أن أقصَّ عليكَ الحُلُمْ

حتى لا تعطيها إلى أحدِ الناشرينْ

فتفضَحَني . .

٥٦- حلم ٤

حلمتُ ليلةَ أمسْ

بأنّكَ اشتريتَ لى يختاً خُرافياً

يتنقّلُ بى من شفتِكَ العليا . .

إلى شفتِكَ السُفلى . .

من ذراعِكَ اليُمنى . .

إلى ذراعكَ اليُسْرى . . .

خِفْتُ أن أقصَّ عليكَ الحُلم

حتى لا تبيعَ يختَ أحلامى

وتبيعَنى . .

٥٧- حلم ٥

حلمتُ ليلةَ أمسْ

بأننى مستلقيَةٌ تحتَ أشجارِ حنانكْ

وأنكَ تسْقينى حليبَ العصافيرْ

وتُطْعمُنى فاكهةَ القَمَرْ . .

خفتُ أن أقصَّ عليكَ ما رأيتْ

حتى لا تضحكَ من تخيّلاتى

وتكسرَ صندوقَ أحلامى .

٥٨ - نقوش على عباءة الكويت

١

أيا صباحَ النّصر ، يا حبيبتى الكويت
أيَّتها العصفورةُ المائيَّةُ ، الرائعةُ الألوانْ
بعد شُهورٍ سبعةٍ فى قَبْضَةِ السَّجَّانْ
طلعتِ مثلَ وردةٍ بيضاءَ منَ دفاترِ النّسْيانْ
فانتصَرتْ سُنْبُلةُ القمحِ على قاطِعِها
وانتصرتْ عُصْفُورَةُ الَحبِّ على صَيّادِها
وانتصَرَ اللهُ على الشيطانْ .

٢

كم كنتِ يا حبيبتى جميلةً

فى زمَنِ الأحزانْ .
كمْ كنتِ يا حَبيبتى نقيَّةً
فى زمَنِ التلّوثِ القومى
والتَّذَبْذُبِ الثورىّ ،
والجُحُودِ والنُّكرَانْ
كمْ كنتِ يَا حبيبتى
كبيرةَ النَّفْسِ على مائدةِ اللئامْ
كَمْ كنتِ يا حبيبتى شامخَةً
فى زمنِ الأقزامْ .

٣

أيا صباحَ الحُبِّ . .
يا تُفَّاحةَ القلبِ ، ويا اسوارةَ المرْجَانْ
أيا صبَاحَ البحرِ يا فَيْلكه
أيا صباحَ الموجِ يا بُوبْيَانْ
أيا صباحَ الخَيْر . .

يا مُشْرفُ . . يا يَرْموكُ . . يا وَفْرَةُ . . يا جَهْرَةُ . .

يا شُوَيْخُ . . يا دَسْمانْ .

يا وطني المولودَ من رمادِهِ

نَخْلَةَ عُنْفُوانْ

يا أجملَ الحروفِ في قصائدي

يا وطَنَ الأوطانْ .

يا أُمَّنا الكويت ،

ضُمِّينا إلى صدركِ بعدَ غُرْبَةٍ

فنحنُ من دونكِ يا حَبيبتى

جيشٌ من الأيتَامْ

ونحن من دونك يا حبيبتى

لا نعرفُ الحبَّ ، ولا الدفءَ ، ولا السَّلاَمْ

ونحن مِن دونك يا حبيبتى

مسافرونَ ضيَّعُوا خارطةَ الشهورِ والأيامْ

ونحن من دونك يا حبيبتى

حمائمٌ قد نسَيتْ مبادىءَ الكلامْ .

يا أُمَّنا الكويت . .

بالأحضانِ ، بالأحضانِ ، بالأحضانْ

لقد تعِبنا فى منافينا ،

فمدّى فوقَنا شراشفَ الحنانْ

مَضَتْ شُهورٌ سبعة

ونحنُ ضائعونَ فى الزمانِ والمكانْ

يا أُمَّنا الكويت . .

دالتْ دولةُ الطغيانْ

وانكسرتْ سلاسل

واحترقتْ مقاصل

وانْهَدَمتْ جُدرَانْ

وانْتَصَرَتْ عصفورةُ الحُبِّ على صيَّادها

وانتصر اللهُ على الشيطانْ . .

٦

يا قَمَرى

يا قَمَرَ الصيفِ الذى لم يحتجبْ

رغمَ حصارِ المَوتِ ، واللهيبِ ، والدُّخَانْ

بَعْدَ شهورٍ سبعة

رجَعتِ يا حبيبتى الكويتْ

كما تَعودُ للربى شقائقُ النُّعْمَانْ

لا أحٌ بوسعه أن يمنعَ الأعشاب

من تسلُّقِ الحيطانْ

لا أَحَدُ ، لاَ أحَد ، لا أحَد

يقدرُ أن يحبِسَ فى قارُورةٍ

حريةَ الإنسانْ .

٧

يا أصدقاءَ السَّيْف . . قلبى معكُمْ

وأنتُمْ تقاتلونَ الوَحْشَ

بالعصىِّ ، والفُؤُوسِ ، والأسنانْ

يا أصدِقاءَ الغَضَبِ الكبيرِ . . والإصرارِ . . والإيمانْ

بفضلكُمْ عادتْ لَنا الكويَتْ

عزيزةً ، قَويةً ، خفَّاقَةَ الأعْلاَمْ

بفضلكُمْ عادت لنا ديرتُنا

وعادتِ الأبراجُ ، والنوارِسُ البيضاءُ ، والحَمَامْ .

يا مَنْ حَرَسْتُمْ أرضَنَا

بالقلبِ ، والضُّلُوعِ ، والأجفانْ

بِفَضْلِكُم ، سَنَصْنَعُ الكويْتَ من جديدْ

ونزرعُ النخيلَ فى شطآنِها .

٥٩- ثلاث برقيات عاجلة إلى وطني

١

سوف نظلُّ دائماً . .

أهلَ النَّدى ، والعَفْوِ ، والسّمَاحْ

لو جَرَّحُونا مرةً

نَطْلَعُ كالأزهارِ من ذاكرةِ الجِراحْ

أو كَسَرُوا جناحَنا

كنّا لهُمْ ،

أكثرَ من صَدْرٍ ، ومن جَنَاحْ

أو دَخَلُوا بيوتَنا

نطعمُهُمْ من خُبْزِنا ، وتَمْرِنا

نُشْرِكُهُمْ برزْقِنَا

نحيطُهُمْ بُحبِّنا . .

ونفرشُ الورودَ فى موكبِهمْ
ونثرُ الأقَاحْ . .

٢

نحنُ الكويتيينَ . . من عاداتنا
أن نستضيفَ الشمسَ فى بيوتِنَا
وأن نُجيرَ الجارْ .
نحنُ الكويتيينَ . . من طباعِنَا
أن ننبُذَ العُنْفَ ،
وأن ندعوَ العصافيرَ إلى مائدةِ الحِوارْ .
نحنُ الكويتيينَ . . من أخلاقنا
أن نرفضَ الظُّلْمَ على أنواعِهِ
ونكرهَ الطغاةَ والطغيانْ .
نحنُ الكويتيّنَ . . من تُراثنا
أن نعصرَ القلبَ لمن نحبُّهُمْ

وأنَ نكونَ دائماً فى جانب الإنسانْ

٣

يا مَنْ زَرَعْتُم فى ضُلُوع شعبى الرماحْ .
كيف بوسع عاشقٍ أن يرفعَ السلاحْ ؟
فى وجه من يُحبُّهمْ
كيف بوُسْع العَيْنِ أن تقاتلَ الأجفانْ
نحن الكويتيّنَ .. لا تخيفُنا
مفاجآتُ البحرِ ، أو زمجرةُ الرياحْ
فنحنُ عشنا دائماً فى داخل الإعصارْ
ونحنُ ندرى جيداً ما قَلَقُ البحرِ ، وما أسئلةُ البحارْ
فلملِمُوا خيولكُمْ .. وانسحبوا ..
ولَملِمُوا أشياءَكم وانصرفوا ..
لا أحدٌ يقدرُ أن يغيّرَ التاريخَ ..

أو يستعمرَ الأرواحْ

لا أحدٌ يقدِرُ أن يُطفىءَ نورَ الشمسِ

أو يصادرَ الصُّباحْ . .

٦٠- بطاقة من حبيبتى الكويت

١

نحنُ باقُونَ هُنا . .

نحنُ باقونَ هُنا . .

هذهِ الأرضُ من الماءِ إلى الماءِ . . لَنَا

ومن القلبِ إلى القلبِ . . لَنَا

ومن الآهِ إلى الآهِ . . لنا

كلُّ دبُّوسٍ إذا أَدْمى بلادى

هُوَ فى قلبى أنا

٢

نحنُ باقونَ هُنا

هذهِ الأرضُ هى الأمُّ التى تُرْضِعُنا
وهى الخَيْمةُ ، والمِعْطَفُ ، والملجأُ ،
والثوبُ الذى يَسْتُرُنا
وهىَ السَّقْفُ الذى نأوى إليهِ
وهى الصدرُ الذى يُدْفئُنا . .
وهىَ الحرفُ الذى نكتبُهُ . .
وهىَ الشعرُ الذى يكتبُنا . .
كلما هُمْ أطلقوا سَهْماً عليها
غاصَ فى قلبى أنا . .

٣

سندبادٌ . كان بحَّاراً خليجيّاً عظيماً . . من هُنا
والذين اشتركوا فى رحلةِ الأحلامِ ، هم أولادُنا
والمجاديفُ التى شقّتْ جبالَ الموجِ كانتْ من هُنا . .
إننا نعرفُ هذا البحرَ جداً . . مثلما يعرِفُنا . .
فعلى أمواجِهِ الزُّرقِ وُلِدْنا

ومع الأسماكِ فى البحرِ سَبَحْنَا
ومع الصبيانِ فى الحىِّ .. لعبنَا .. وسهرنَا .. وعشِقنَا ..

هذه الأرضُ التى تُدعى الكُويتْ
هبةُ الله إلينا ..
ورضاءُ الأبِ والأُمِّ علينا ..
كم زرعنا أرضَها نخلاً وشِعْرا
كم شردنا فى بواديها صغارَا
ونَخَلْنَا رملَها شِبْراً فشِبْرا
وعلى بِللَّوْرِ عينيها جلسنا نتمرَّى

هذه الأرضُ التى تُدعى الكويتْ
بَيْدَرُ القمحِ الذى يُطْعِمُنا
نِعْمَةُ الرَّبِّ الذى كَرَّمنَا

ويدُ الله التى تحرُسنا
قد عرفنا ألفَ حُبٍّ قَبْلَها . .
وعرفنا ألفَ حُبٍّ بَعْدَها . .
غيرَ أنَّا
ما وجدنا أمرأةً أكثرَ سِحْرا
ما وجدنا وطناً
أكثرَ تحناناً ، ولا أرحمَ صدرا
هذه الأرضُ التى تُدْعى الكويتْ
هى منَّا . . ولنا
كلُّ دبُّوسٍ إذا أوجَعَها . . هو فى قلبى أنا . .

٦

هذه الأرضُ التى تُدعى الكُويتْ
نحنُ معجونونَ فى ذرَّاتها
نحنُ هذا اللؤلؤُ المخبوءُ فى أعماقِها
نحنُ هذا البَلَحُ الأحمرُ فى نَخْلاتِها
نحنُ هذا القَمَرُ الغافى على شُرْفاتها

هذه الأرضُ التى تُدعى الكويت . .
هى عطرٌ مُبْحِرٌ فى دمِنا
ومناراتٌ أضاءتْ غَدَنا
وهى قلبٌ آخَرُ فى قلبِنَا .

٧

الكويتيُّونَ باقُون هُنا
الكويتيونَ باقون هنا
وجميعُ العربِ الأشرافِ باقون هنا
الكويتيُّونَ باسْمِ اللهِ . . باسْم السَّيْفِ
باسم الأرضِ ، والأطفال ، والتاريخِ
باقُون هنا
نَلْثُمُ الثغرَ الذى يلثمنا
نقطعُ الكفَّ التى تضربُنا

٦١ - آخر السيوف

إلى روح زوجي، ورفيقي، ومعلمي

عبد الله المبارك

ها أنتَ ترْجعُ مثلَ سَيْفٍ مُتْعَبِ
لتنامَ فى قلْبِ الكُوَيْتِ أخيرًا
يا أيّها النَّسرُ المُضرَّجُ بالأسى
كم كُنتَ فى الزمنِ الرديءِ صَبُورا
كَسَرْتكَ أنباءُ الكُوَيت ، ومن رأى
جَبَلاً ، بكلِّ شُمُوخِهِ ، مَقْهُورا ؟
ما كان يُمكنُ أن تعيشَ لكَىْ تَرَى
بابَ العَرينِ ، مُخَلَّعًا .. مكْسُورا
صَعْبٌ على الأحرارِ أن يَسْتسلمُوا
قَدَرُ الكبيرِ ، بأن يَظَلَّ كبيرا
يا فارس الفُرْسَان ، يا ابْنَ مُبارك
يا مَنْ حَمَيْتَ مَدَاخلاً ، وثُغُورا

شرِبَتْ خيولُكَ دَمْعَها ، وصَهيلَها

كيف الخيُولُ تموتُ ؟ لا تفسيرا

ما عادَ بَحْرُكَ أزْرَقا ، يا سَيِّدى

فكأنَّما صارَا النهارُ ضريرا . .

الإخوةُ الأعداءُ مرُّوا من هُنا

كى يملأوُا تاريخَنا تزويرا

شَنَقُوا الغَنىَّ على مشانق حِقْدِهِمْ

أما الفقيرُ فلا يزالُ فَقيرا . .

غَدَروا بهارُون الرشيد . . وأحْرَقُوا

كُتُبَ التُّراث . . وأعدمُوا المَنْصُورا

عَبَثُوا بأجسادِ النساء . . ودنَّسُوا

قَبرَ الحُسَيْنِ ، ودَمَّرُوا تَدْميرا . .

لم يترُكُوا فى الحقل غُصْنًا أخضرًا

أو نَخْلَةً مَيْسَاءَ . . أو عُصْفُورا

قَضَمُوا الكُوَيْتَ . . كأنَّها تُفاحةٌ

ورَمَوا ثيابَ القاصراتِ قُشُورا

من ذا يُحاسبُ حاكمًا متسلِّطًا

ذَبَحَ الشُّعوبَ حَمَاقةً . . وغُرُورا ؟

يا سيِّدى .. إن الشُّجُونَ كثيرةٌ

فاذْهَبْ لربِّكَ ، راضيًا مبرورُا

يتفتَّتُ التاريخُ بين أصابعى ..

وأُشاهِدُ الوطنَ الجَميلَ كسيرا

خَذَلُوكَ ، يا شيخَ العروبةِ ، عندما

جَعَلوا العُروبةَ ، مَسْلَخاً وقُبُورا ..

ذَبَحُوا الطُّموحَ الوَحْدوِىَّ .. من الذى

يرضى بأن يتزوجَ السّاطُورا ؟؟

جاؤوا إليكَ .. لكى تُبارِكَ فِعْلَهُمْ

يأبى الإباءُ بأن يكونَ أجيرا ..

أأبا مُبارَكَ .. كُنْتَ أنتَ قَبيلتى

وجزيرتى .. والشاطئَ المسْحُورا

يا خَيْمتى وَسَطَ الرياح ، من الذى

سَيَلُمُّ بعدَكَ دَمعىَ المَنْثورُا ؟

يا مَنْ ذَهَبْتَ ، وما ذَهَبْتَ ، كأنّنى

فى الليل أسمعُ صوتَك البَلّوُرا

أنتَ الربيعُ .. فلو ذَكَرتُكَ مرَّةً ..

صارَ الزمانُ حدائقا .. وعبيرا

أأبا مُـــبَـــارَكَ ، لو هناكَ مـــدامعٌ
تكفى .. لفـجَّـرْتُ الدُّمُـوع نُهـورا
مَـنْ ذا يُغَـطّـيـنا بـريـش حَـنَانـه ؟
من يملأُ البـيتَ الكبـيـرَ حُـضُـورا ؟
أنتَ الســفـيـنةُ ، والمظلَّةُ والهــوى
يا مَنْ غَــزَلتَ لىَ الحنانَ جُــسُـورا
غطَّيـــتنى بالـدفء منذُ طفُـــولتى
وفَـرَشْتَ دربىَ ، أنْجُـمًـا وحـريرا
وحـمـيتَ أحـلامـى بنَخْـوَة فـارِسٍ
لم تُلْغِ رأيًـا أو قَـمَـعْتَ شُـعُـورا
اللهُ يعـلمُ يـا أبى .. ومُـــعَلِّمى
كم كنتَ إنسانًا .. وكنتَ أميرا ..
أأبا مُـبَـارَك يا مَـنَارةَ عُـمْـرِنَا ..
يا دِرْعَنـا ، وكـتـابَنَـا المأثُورا ..
كُنْتَ الكُـويْتَ أصَـالـةً وحَـضَـارةً
ومَنَاقـبـا عـربـيـةً وجُـذُورا ..
البـحـرُ أنتَ .. يفـيـضُ عن شُطْآنِه
قـدَرُ الكبـيـرِ بأن يكُون كَـبـيـرَا ..

أأبا مُبَـارِكَ ، سـوف تـبـقى دائمًـا

فى العين كُحْـلاً . . والشفـاهِ بَخُورا

يا آخِـــذَ الـكَلِمـــات تحـتَ ردائه

ما عُدْتُ بَـعْدك أُحْـسِنُ التّـعـبيـرا

٦٢- قصيدة حب ٤

طالما طَرَحْتُ على نَفْسى
أسئلةً طُفُولِيَّةً لا جَوابَ لها
هل أنا حبيبتُكْ ؟
أم أنا أمُّكْ ؟
هل أنا مليكتُكْ
أم أنا مملوكتُكْ ؟
هل أنا أنا ؟
أم أنا أنتْ ؟
إنَّ الأمُومَة فى داخِلى
تطغَى على جميع العواطفِ الأخرى
فلماذا أخافُ عليكَ كلَّ هذا الخوفْ ؟
لماذا أَمُدُّ يدى بحركَةٍ تلقائيَّةْ ؟
لوضعِ شالِ الصّوفِ على رقبَتِكْ . .
وإقفالِ أزرارِ معطفِكَ الجلدىّ . .

قبل أن تخرجَ إلى الشارعْ ؟

لماذا كلّما ذهبتُ إلى «خان الخليلىّ»

أشترى لكَ كلَّ التعاويذ الفرعَوْنيَّةْ

وكلَّ الحجاباتِ الشَّعبيّةْ . .

التى تردُّ عَنْكَ

زَمْهريرَ الشتاءْ . .

وصقيعَ الأعْيُنِ الزرْقاءْ ؟ . .

إن إحساسَ الأمومةِ نحوكْ

يدفعُنى إلى ارتكابِ حَماقاتٍ

لا تتناسبُ مع وقارى

ففى بعض لَحَظاتِ التجلِّى

يخطرُ لى أن أُقصَّ لكَ أظافرَكْ . . .

وفى بعض لحظاتِ الولَهْ

يخطرُ لى أن أُجَفِّفَ شعْرَكْ

وأنتَ بين يَدَىَّ . .

مُسْتَسْلِمٌ كحمامَةْ . .

وفى بعض لَحَظَاتِ الانخطافْ

أحملُ لك زُجاجةَ «الشامبُو» . .

وأنْتَظِرْ . .

حتى أعطيَكَ الشُّعورْ

بأنّكَ أحدُ الأباطِرَةْ . .

وفى بعض لَحَظاتِ الجُنونْ

يخطُرُ لى أن أقبِّلكَ

ووجهُكَ مغطًّى بصابون الحلاقَةْ . .

وفى بعض لحظات الواقعيَّةِ الاشتراكيّةْ

استعملُ معجونَ أسنانكَ . .

حتى أُشْعِرَكَ

أن فمى وفمَكْ . . .

مزرعةٌ تعاونيّة واحدةْ . . .

أيُّها الديكتاتورُ الصّغيرْ

الذى يستعملُ بذكاءٍ

حَنانِى . .

ونقاطَ ضَعْفِي .

أيُّها الطفلُ السادِيُّ

الذى يلعبُ بأعصابى .

كما يلعبُ بطيّارةٍ من وَرَقْ . .

أيُّها الطفلُ الفوضوىُّ

الذى عذَّبنى كثيراً .

وأسْعَدَنى كثيراً

إننى لن أعاقبَكْ

على الأوانى التى كَسَرْتَها . .

وعلى البطاطس التى أحْرَقْتَها . .

وعلى قطَّة البيت التى خَنَقْتَها . .

إننى لا ألومك

على كُلِّ هذا الخراب الجميلْ

الذى أحْدَثْتَهُ فى حياتى .

ولكنَّنى . . . ألومُ أمومَتى !!!

٦٣ - عام سعيد

١

عامٌ سعيدْ . .

عامٌ سعيدْ . .

إنّي أُفضِّلُ أن نقولَ لبعضِنَا :

«حُبٌّ سعيدْ» .

ما أضيقَ الكَلِماتِ حينَ نقولُها كالآخَرينْ .

أنا لا أريدُ بأن تكونَ عواطفى

مَنْقُولةً عن أُمْنياتِ الآخرينْ . .

أنا أرفضُ الحُبَّ المعبَّأَ فى بطاقاتِ البريدْ . .

إنّى أحبُّكَ فى بدايات السَّنَهْ . .

وأنا أحبُّكَ فى نهاياتِ السَّنَهْ . .

فالحُبُّ أكبرُ من جميع الأزمَنَهْ

والحُبُّ أرحَبُ من جَميعِ الأمكِنَهْ

ولذا أُفَضِّلُ أن نقولَ لبعضِنا

« حُبٌّ سعيدْ » . .

حُبٌّ يثورُ على الطقوس المسرحيَّةِ فى الكلامْ .

حُبٌّ يثورُ على الأُصولِ . .

على الجذورِ . .

على النظامْ . .

حُبٌّ يحاولُ أن يُغَيِّرَ كلَّ شىء

فى قواميسِ الغَرَامْ !! . . .

٢

ماذا أريدُ إذا أتى العامُ الجديدْ . . ؟ .

كم أنتَ طفلٌ فى سؤالِكَ . .

كيف تجهلُ ، يا حبيبى ، ما أُريدْ ؟ .

إنى أريدُكَ أنتَ وحدَكَ . .

أيُّها المربوطُ فى حَبْلِ الوريدْ .

كلُّ الهدايا لا تُثيرُ أُنوثتى

لا العطرُ يُدهشُنى ..
ولا الأزهارُ تُدهشُنى
ولا الأثوابُ تُدهشُنى ..
ولا القَمَرُ البعيدْ ..
ماذا سأفعلُ بالعُقُودِ .. وبالأساورْ ؟ .
ماذا سأفعلُ بالجواهرْ ؟ !
يا أيُّها الرجُلُ المسافرُ فى دمى
يا أيّها الرجُلُ المسافرْ
ماذا سأفعلُ فى كنوزِ الأرضِ ..
يا كنزى الوحيد ؟ .. ؟ .

٣

ياسيِّدى :
يا مَنْ يُغَيِّرُ فى أصابعِهِ حياتى
يا مَنْ يؤلِّفُنى .. ويُخْرِجُنى ..
ويكْسِرُنى .. ويجمَعُنى ..
ويُشْعِلُ ثورتى .. وتحوُّلاتى ..

أجْراسُ نِصفِ اللّيلِ رائعةٌ
وهذا الثلجُ موسيقَى تُكلِّمُنا
وأنا أصلِّى كى تظلَّ تُحِبُّنى
فا قبَلْ صَلاَتى . . .

٤

(شُوبَانُ) . .
يَعْزِفُ فى جوارِ المِدْفَأَهْ
قُلْ لى : (أُحِبُّكِ)
كى تزيدَ قَنَاعتى
أنى امرأهْ . . .
قُلْ لى : (أُحِبُّكِ) . .
كى أصيرَ بلحظةٍ
شفَّافةً كاللُّؤلؤَهْ . . . . .

٥

يا سيِّدى :

يا أيُّها المخبوءُ من عشرينَ عاماً . . فى الوريدْ

يا مَنْ يُغَطّينى بمعْطَفِه

إذا سرنا معاً فوقَ الجليدْ . .

ما دُمْتُ لاجئةً لصدركَ . .

ما الذى من هذه الدُّنيا أُريدْ ؟ .

٦

ما دُمْتَ موجوداً معى . .

فالعامُ أسْعَدُ مِنْ سعيدْ . . .

٦٤- افتراضات

إذا ما افْتَرضْنَا . .

إذا ما افْتَرضْنَا . .

بأنَّكَ لستَ حبيبي

فماذا أكونُ ؟ .

وماذا تكونْ ؟ .

وكيْفَ أقولُ بأنِّي أُنْثَى ؟ .

إذا لم أُحبِّكَ تحتَ الجُفُونْ .

وما قيمةُ العِشْقِ ، يا سيِّدي

إذا لم يُسافِرْ ببحْرِ الجُنُونْ ؟؟ .

إذا ما افْتَرضْنَا . .

إذا ما افْتَرضْنَا . .

بأنَّكَ لستَ حبيبي

فما هو مَعْنى الحياةْ ؟ .

وكيف تدورُ الشّموسُ بدونِكَ . .

كيف يجيءُ الرّبيعُ بدونِكَ . .

كيفَ ستَعْلُو السَّنابِلُ ؟ .

كيفَ تُغنّى البلابلُ

كيفَ تَفيضُ الجداولُ ؟ .

كيف سيَطْلُعُ من شَفَتَيْنَا النَّباتْ ؟ .

وهل تستمِرُّ الحضاراتُ ؟ .

والشِّعْرُ . .

والرَّسْمُ . .

والنَّحْتُ . .

هل تستمِرُّ اللُّغاتْ ؟ .

*

إذا ما رَفَعْتَ ذِراعَيْكَ عَنّى . .

وسافرتَ يوماً ،

فكيفَ سيُصْبحُ شكْلُ المكانْ ؟ . .

وكيف أواجهُ كُلَّ الشّؤون الصغيرةِ ، حولى ؟ .

وكيف أُقاومُ رائحةَ البُنِّ ؟ .

كيف أقاومُ لونَ الفناجينِ ؟ .

كيف سأمسَحُ دَمْعَ الفساتينِ ؟ .

كيف أقاومُ رائحةَ التَّبْغِ ؟ .

كيف سأهربُ من حَلَقاتِ الدُخَانْ ؟ .

وكيف أحدِّقُ فى ساعةِ البيتِ

بَعْدَ رحيلكَ . .

يا مَنْ سرقْتَ الزَّمانْ ؟؟ . .

أسائلُ نَفْسِى :

إذا ما ذهَبْتَ

إلى أينَ يذهبُ ضوءُ القَمَرْ ؟ .

ومِنْ أجل مَنْ ، ستُضيىء النجومُ ؟ .

ومِنْ أجل مَنْ ، سيفوحُ الزَّهَرْ ؟ .

ومَنْ سيُمَشِّطُ بعدَكَ شَعْرَ الشَّجَرْ ؟ .

وإنْ جاءَ تشرينُ . .

مَنْ سيُطَوِّقُ خَصْرى ؟ .

ويَعْصِمُنى من مياه المَطَرْ ؟ .

*

أيا رجُلاً . .

يتجوّل بينَ خلاياىَ . .

مثلَ القضاءِ . .

ومثلَ القَدَرْ .

أسائِلُ نَفْسى :

إذا ما استَقَلّنا مِن الحُبِّ يوماً ،

فمَنْ سوف يرسُمُ ألوانَ قوسِ قُزَحْ ؟ .

ومَنْ سوف يُوقِدُ نارَ الغُروبِ ؟ .

ومَنْ سيُحرِّكُ شوقَ الوَتَرْ ؟ .

*

إذا ما افتَرضْنَا . .

إذا ما افتَرضْنَا . .

- ولستُ أحِبُّ افْتِراضى . .

بأنْكَ لستَ حبيبى . .

فَمَنْ يملأُ الكونَ شعْراً جميلاً ؟ .

ومَنْ سيُجَمِّلُ أرض البَشَرْ ؟؟

. . . وعندما تنتهى المُظاهَرهْ

وترجِعُ الأمْشاطُ إلى أغْمَادِها . .

وترجِعُ الخواتمُ إلى جوازِيرها .

وتعودُ العطورُ إلى قَواريرِها .

أرمى لافِتاتى . .

وأنسَى احتجاجاتى . .

وأبحثُ عنكَ فى أىّ مقهى قريبٌ

لأشربَ القهوةَ معَكْ . . .

٦٥- امرأة بلا سواحِلْ

يا سيِّدى :

مشاعرى نحوكَ ، بَحْرٌ ما لهُ سواحِلْ . .

ومَوْقِفِى فى الحبِّ . . لا تقبلُهُ القبَائِلْ .

يا سيِّدى :

أنتَ الذى أُريدْ . .

لا ما تريدُ تَغْلِبٌ ووائِلْ . .

أنتَ الذى أُحِبُّهُ . .

ولا يُهِمُّ مُطْلقاً

إنْ حلَّلوا سفكَ دمى . .

واعتبرونى امرأةً . .

خارجةً عن سُنَّةِ الأوائلْ . . .

*

يا سيِّدى :

سوف أظلُّ دائماً أُقاتِلْ

مِنْ أجْلِ أنْ تنتصِرَ الحياةْ

وتورِقَ الأشجارُ فى الغاباتْ

ويدخُلَ الحبُّ إلى منازلِ الأمواتْ

لا شىءَ غيرُ الحُبِّ . .

يستطيعُ أن يحرِّكَ الأمواتْ . . .

*

يا سيِّدى :

لا تَخْشَ أمواجى . . ولا عواصفى . .

ألا تُحِبُّ امرأةً ليس لها سَواحِلْ ؟؟ . . .

٦٦ - القَصيدَة السّوداء

١

كَمْ غيَّرَتنى الحَرْبُ . . يا صديقى
كم غيَّرَتْ طبيعَتى .
وغيَّرتْ أُنوثَتى .
وبَعْثَرتْ فى داخلى الأشياءْ .
فلا الحوارُ مُمْكِنٌ .
ولا الصراخُ مُمْكِنٌ .
ولا الجنونُ مُمْكِنٌ .
فنحن مَحْبُوسَانِ فى قارورَةِ البُكاءْ . . .

٢

قد كَسَرَتْنى الحربُ يا صديقى

ولخبطَتْ خرائطَ الوجدانْ .
وحطَّمَتْ بوصلَةَ القلبِ ،
فلا زَرْعٌ . .
ولا ضَرْعٌ . .
ولا عُشبٌ . .
ولا ماءٌ . .
ولا دفءٌ . .
ولا حنانْ . .
قد شوَّهَتْنى الحربُ يا صديقى
والحربُ كم تُشَوِّهُ الإنسانْ . .
فهل هناكَ فرصةٌ أخرى . . لكى تُحبَّنى ؟.
وليس فى عَيْنَىَّ إلا مَطَرُ الأحزان . .

٣

يا سيِّدى :
ما عدتُ بعدَ الحربِ . . أدرى مَنْ أنا ؟ . .

أقطَّةٌ جريحةٌ ؟.
أم نَجْمةٌ ضائعةٌ ؟.
أم دَمْعَةٌ خرساءْ ؟.
أم مَرْكبٌ مِنْ ورقٍ
تَمْضُغُهُ الأنواءْ ؟.
أين تُرَى سنلتقى ؟.
وبيننا مدائنٌ محرُوقَةٌ
وأُمَّةٌ مسحوقةٌ . .
وبيننا داحِسُ والغَبْراءْ . . .
فهل هناكَ فرْصةٌ أخرى .
لِكَىْ تُحبَّنى . .
من بعد ما حوَّلَنى الحزنُ إلى أجزاءْ . .
قد سَرَقَتْنى الحربُ مِنْ طفولتى
واغْتالَتْ ابتسامتى . .
ومزَّقتْ براءتى
واقتلعَتْ أشجارىَ الخضراءْ . .
فلا أنا بَقِيتُ مِنْ فَصيلةِ الزُّهورْ . .
ولا أنا بقيتُ من فَصيلةِ النساءْ . .

فمن تُرى يُقْنِعُنى ؟.
أنَّ السَماءَ لم تَزَلْ زرقاءْ ؟.
وأنّنا . .
فى زمنِ التلوُّثِ الروحىِّ . .
والفكرِىّ . .
والقومِىِّ . .
يمكن أن نظلَّ أصدقاءْ ؟؟.

٤

يا سيِّدى :
لستُ أنا جزيرةَ السَّلامْ .
ولا أنا الأُنْثَى التى كان على أجْفانِها
يستوطِنُ الحَمَامْ . .
ولا أنا . .
نافورةُ الماءِ . .
وسِمْفونِيَّةُ الرُّخامْ . . .

يا سيِّدى :

قد يَبِسَ العُشْبُ على شفاهِنَا

وانكسَرَ الكلامْ . .

فكيف نسْتَرْجعُ أيامَ الهوى ؟.

ونحنُ مدفونانِ . .

تحت الوَحْلِ والرُّكامْ . . .

يا سيِّدى :

أنا التى غيرُ التى تعرفُها .

ذاكرتى مثقوبَةٌ .

فلا التَّواريخُ على جدرانِها باقيةٌ

ولا العناوينُ . . .

ولا الوجوهُ . .

والأسماءْ . .

أين تُرَى نذهبُ ، يا صديقى ؟.

وما هناكَ بوصةٌ واحدةٌ نملكُها
في عالَمِ الأرضِ ،
ولا في عالَمِ السَّماءْ . . .
وما الذي نفعلُ في بلادٍ ؟.
يَصْطَفُّ فيها الناسُ بالطابورِ . .
كي يَسْتَنشِقُوا الهواءْ !!

٦

يا سيِّدي :
لكَمْ أنا أشعُرُ بالإحباطِ ،
والدُّوارِ . .
والإعياءْ . .
فلا تُؤاخذني على كآبتي
إذا قرأتَ هذه القصيدةَ السَّوْداءْ . . .

٦٧ - درسٌ خصوصى

لا تنتقدْ خَجَلى الشّديدَ .. فإنَّنى
دَرْويشَةٌ جداً .. وأنتَ خبيرُ .
يا سيِّدَ الكَلمات .. هَبْنى فُرْصةً
حتى يذاكرَ دَرْسَهُ العُصْفورُ ..
خُذْنى بكُلِّ بَساطَتى .. وطُفولَتى
أنا لم أزَلْ أصْبُو .. وأنتَ كبيرُ .
أنا لا أُفَرِّقُ بينَ أنْفى أو فمى
فى حين أنتَ ، على النساء قديرُ ..
من أين تأتى بالفَصاحَةِ كُلِّها ..
وأنا .. يموتُ على فَمى التَّعبيرُ
أنا فى الهوَى ، لا حَوْلَ لى أو قُوَّةٌ
إنّ المُحبَّ بِطَبْعِه مكْسورُ .
إنى نسيتُ جميعَ ما علَّمْتَنى
فى الحُبِّ ، فاغْفِرْ لى ، وأنتَ غفورُ .

يا واضعَ التّاريخ . . تحت سريرِه
يا أيُّها المتشاوِفُ ، المغرورُ
يا هادِىءَ الأعصابِ . . إنَّكَ ثابتٌ
وأنا . . على ذاتى أدورُ . . أدورُ . .
الأرضُ تحتى ، دائمًا محروقَةٌ
والأرضُ تَحتَكَ مُخمَلٌ وحريرُ . .
فرقٌ كبيرٌ بينَنا ، يا سيِّدى
فأنا مُحافظَةٌ . . وأنتَ جَسُورُ
وأنا مُقَيَّدَةٌ . . وأنتَ تطيرُ . .
وأنا محجَّبَةٌ . . وأنت بَصيرُ . .
وأنا . . أنا . . مجهولةٌ جداً . .
وأنتَ شَهيرُ . .

*

فَرْقٌ كبيرٌ بينَنا . . يا سيِّدى
فأنا الحضَارةُ
والطُّغاةُ ذُكورُ . .

٦٨ - رجلٌ فى الذاكرة ...

١

مُشْكلتى معكَ ، لا عَلاقَةَ لها بقلبى
بل بذاكرتى . . .
هذه الذاكرةُ التى تحتلُّها احتلالاً قَسْرِيًّا
منذُ مئةِ عامْ . . .
دُونَ رضاىَ . .
ودُونَ إرادتى . .
ودُونَ أن يكونَ مَعَكَ عَقْدٌ للإيجار . . .

٢

منذُ مئةِ عام . .
وأنتَ تعيشُ فى ذاكرتى

كما لو كانتْ شقَّتَكَ الخُصُوصيَّةْ .
تتمدَّدُ على وَسَائِدها متى تشاءْ . . .
وتُعلّقُ ثيابكَ فى خزائنها متى تشاءْ . . .
وتأخُذُ قيلولتَكَ فيها حينَ تشاءْ . . .
وتستعملُ ثلاّجتَها . .
وتصنعُ قهوتَكَ حينَ تشاءْ . .

٣

منذُ مئة عام . .
وأنت مُعْربَشٌ كحشائشِ البحرْ
على شواطئ ذاكرتى .
أطلبُ منكَ الهجْرةَ . . فلا تُهاجِرْ
وأشترى لكَ بطاقةَ سفرٍ . . فلاَ تسافرْ
وأُغلقُ حقائبكَ . . فتفتَحها من جديدْ . .
وأطلبُ من البوليس أن يُلقى القبضَ عليكْ . .
فيُلقى القبضَ علىّ . .

٤

منذُ مئةِ عامْ . .
وذاكرتى لا تتذكَّرُ رَجُلاً غَيرك . .
ولا تعرفُ من التاريخ ، غير تاريخِكْ
ولا تعرفُ من الجغرافيا ، غيرَ مساحةِ يديكْ . .
ولا تعرفُ من الثقافة . . سوى كلماتِ الحبِّ
التى تكتُبُها على قميصى . . .

٥

منذُ مئةِ عامْ . . .
وأنا أحاولُ أن أكسرَ دائرةَ الطباشيرْ
التى حَبَسْتنى فيها . .
وخبّأتَ مفاتيحَها فى جَيْبِكْ . .
منذُ مئةِ عامْ . . .

وأنا أحاولُ أن أقنعَكَ باحترامِ حقوقِ الإنسانْ
وحقوقِ الأُنوثَةْ . .
ولكنَّكَ . . ككُلِّ ذُكورِ القبيلَةْ . . .
بقيتَ مُصِرًّا على الاحتفاظِ بمتلكاتكْ . .
التى لا تغيبُ عنها الشمسْ . . .
وبقيتَ رافعًا أعلامكَ الحمراء
فوق أسوارِ ذاكرتى . . .

٦

أيُّها الجالسُ مَلِكًا فوقَ عَرْشِ ذاكرتى
حَرِّرنى ولو ليومٍ واحدٍ من سُلْطَانكْ
فكُلُّ شارعٍ أمشى فيهِ . . يحملُ اسْمَكْ . .
وكلُّ مقهى ألجأُ إليه . . . يرفُضُنى وحدى . . .
وكلُّ حديقةٍ عامةٍ تُقْفلُ أبوابَها فى وجهى . . .
وكلُّ البوتيكات التى أشترى منها ثيابى
لا تبيعُنى شيئًا . . . قبلَ أن أستشيرَكْ . . .

فاخْرُجْ من تحت جلْدى
حتى أعيشَ حياتى بصورةٍ طبيعيَّةْ . .
وأتنفَّسَ بصورةٍ طبيعيَّةْ .

٧

إنّنى أحملُكَ فى داخلى
كامرأةٍ فى شهرها التاسعْ . . .
فكيفَ أتخلَّصُ منكْ ؟
كيفَ أقطعُ حَبْلَ مشيمتى مَعَكْ
وأنت مُشْتَبِكٌ ككرةِ الصّوفْ
بأحلامى ، ورغباتى ، وجهازى العصبىّ ؟
كيفَ أتركُكَ على قارعةِ الطريق
تحتَ الثلجِ والمطر ، والأعاصيرْ . .
وأنت أوّلُ طفلٍ ولدتُهُ . .
وآخرُ طفلٍ سوفَ ألِدُهْ ؟ . .

٨

لقد سقَطَ جدارُ برلين ، يا سيِّدى
وسقطتْ حجارةُ العالم القديمْ .
وتحرَّرتْ جنوبُ إفريقيا من حكمِ الرّجُلِ الأبيضْ . .
بعد ثلاثمئة عامْ . .
فلماذا ، يا أيُّها الرجُلُ الأبيضْ
تواصلُ احتلالَ ذاكرتى ؟
لماذا تزرعُ الألغام فى ذاكرتى ؟
والحرائقَ تحت مخدّتى ؟

٩

كيف أقتلعُكَ من ذاكرتى
وأنت متشبّثٌ بها
كما تتشبّثُ الشُّعَبُ المرجانيّةْ
بصخورِ البحر الأحمر ؟ . . .

١٥

يا أيُّها المستأجرُ الأبديُّ لمشاعرى
اذهبْ إلى أىِّ فندقٍ تشاءْ . . .
وأنا سأدفعُ أجرةَ إقامتِكْ . . .
ادخلْ إلى أىِّ مقهى تختارُه . . .
وأنا سأدفعُ ثمنَ قهوتِكْ . .
تزوَّجْ من أيّة امرأةٍ تعجبُكْ
وأنا سأدفعُ لكَ المَهرْ !!!

٦٩ - خُذْنى إلى حدود الشمس ...

١

قُلْ لى . قُلْ لى
هل أحببتَ امرأةً قَبْلى ؟
تفقِدُ ، حين تكونُ بحالة حُبٍّ
نُورَ العقلِ . . .

٢

قُل لى . قُلْ لى
كيف تصيرُ المرأةُ - حين تُحِبُّ -
شُجَيْرَةَ فُلٍّ ؟
قُلْ لى

كيف يكونُ الشَّبَهُ الصارخُ
بينَ الأصْلِ ، وبينَ الظِّلِّ
بينَ العين ، وبينَ الكُحُلِ ؟
كيف تصيرُ امرأةٌ عن عَاشقها
نُسْخَةَ حُبٍّ .. طِبْقَ الأصْلِ ؟..

٣

قُلْ لى لغةً ..
لم تسمَعْهَا امرأةٌ غيرى ..
خُذْنى .. نحو جزيرةِ حُبٍّ ..
لم يسكُنْها أحدٌ غيرى ..
خُذْنى نحو كلامٍ خلفَ حدودِ الشِّعْرِ
قُلْ لى : إنّى الحبُّ الأوَّلْ
قُلْ لى : إنّى الوعدُ الأوَّلْ
قَطِّرْ ماءَ حنانكَ فى أذُنيَّا
إزرَعْ قمرًا فى عينيَّا
إنَّ عبارةَ حُبٍّ منكَ ..
تُساوى الدنيا ...

يا مَنْ يسكنُ مثلَ الوردةِ فى أعماقى
يا مَنْ يلعبُ مثلَ الطفلِ على أحداقى
أنتَ غريبٌ فى أَطْوَارِكَ مثل الطفلِ
أنتَ عنيفٌ مثلَ الموجِ ،
وأنتَ لطيفٌ مثلَ الرمل . .
لا تَتَضايقْ من أشواقى
كرِّرْ . كرِّر اسْمى دومًا
فى ساعات الفجر . . وفى ساعات الليل
قد لا أُتقنُ فنَّ الصمت . . فسامِحْ جهلى . .
فتّشْ . فتّشْ فى أرجاء الأرضِ
فما فى العالم أُنثى مثلى . . .

أنتَ حبيبى . لا تتركْنى

أشربُ صبرى مثلَ النَّخْلِ . .

إنّى أنتَ . .

فكيف أُفرِّقُ . . بين الأصلِ ، وبين الظِّلِّ ؟

٧٠ - سأبقى أحبكَ

١

أحبُّكَ . . .
رَغْمَ ألوفِ العُيُوبِ الصغيرةِ فيكَ
وأعرفُ أنَّكَ لا تستحقُّ عَطائى .
وأرمى بنفسى على ساعديكَ
ولا أتذكّرُ أين أمامى . .
وأين ورائى . .

٢

أحبُّكَ . . .
حتى حُدُودِ السَّذاجةِ
حتى حُدُود الغباءِ . .

وأعرفُ أنى سأغْرَقُ فى آخرِ الأمر ،
فى شِبْرِ ماءِ . .
فسامحْ غبَائى . .

٣

أُحِبُّكَ جداً . .
وأعرفُ أنَّ مزاجَكَ
غَيْمٌ . . وبَرْقٌ . . ورَعْدٌ . .
وأنى تزوّجتُ فَصْلَ الشتاءِ
وأعرفُ أنَّ التقدُّمَ صَعْبٌ
وأنَّ التراجُعَ صَعْبٌ
وأنَّ بحارَكَ دون ابتداءٍ . .
ودون انتهاءِ . .
أُحِبُّكَ جداً
وأعلَمُ علمَ اليقين
بأنّى أؤسّسُ مملكةً فى الهواءِ . . .

٤

أُحِبُّكَ جداً . .
وأعرفُ أنى سأقتحمُ المستحيلْ
وألْمسُ سَقْفَ السماءِ
أُحِبُّكَ حتى التهورِ
حتى التبخُّرِ
حتى التقمُّصِ فيكَ
وحتى فَنائى .

٥

أُحِبُّكَ . . من دونِ قيدٍ . . ومن دونِ شرطٍ
وأعرفُ أنّى تجاوزتُ كلَّ الخُطُوطِ . .
وأحْرَقْتُ نِصْفَ البلادِ ورائى .
أُحِبُّكَ . . من دون أىِّ حسابِ

وأعرفُ منذُ البداية
أنّى سألقى جزَائى . .

٦

أُحِبُّكَ جداً
وكم كنتُ أرغبُ أن لا أُحبُّكَ
لكنّها نُقْطَةُ الضَّعْفِ عند جميع النساءِ
ففى حالة العشْقِ . .
لسنا نفرِّقُ بين السُّفُوحِ
وبين الهضابِ
وبين السُّطُورِ وبين الكتابِ
وبين الثَّوابِ وبين العقابِ
وفى حالة الشَّوْقِ . .
لسنا نفَرِّقُ بين النّبى وبين المُرابى
أُحِبُّكَ جداً . .
فهل يا تُرانى ، أُحبُّ خرَابى .

٧

أيا أيُّها الديكتاتورُ الصغيرْ
أنا لا ألومُكَ مهما فعلتْ
ومهما قمعتَ شُعُورى
ومهما كسرتَ خيالى . .
ومهما بطشتْ
فلم تَكُ يومًا قوياً
لكنَّ ضَعْفى خلاَّكَ تُحْسَبُ فى الأقوياءِ
ولَمْ تَكُ يومًا كبيراً
ولكنْ أنا . .
قد رفعتُكَ بالحبِّ نحو السَّمَاءِ . . .

٨

أيا سيِّدى :

لا تُؤاخِذْ جُنونى
فإنّى بدائيّةُ النزواتْ
وعشقىَ - مثلى - بِدائى
سأبقى أُحِبُّكَ
مهما ضجرتَ
ومهما صرختَ
ومهما احْتَجَجْتَ
ومهما أردتَ التحرُّرَ من كُحْلىَ العربىِّ . .
ومن شعرىَ الكسْتَنَائىّ . .
سأبقى أُحِبُّكَ
حتى تسيلَ دماكَ
وحتى تسيلَ دمائى . . .

٧١ - ليلةُ القبض على فاطمة...

١

هذى بلادٌ . . تَختِنُ القصيدةَ الأُنْثَى . . .
وتشنُقُ الشمسَ لدى طُلُوعِها
حفظًا لأمنِ العائلَهْ . . .
وتذبَحُ المرأةَ إن تكلَّمَتْ . . .
أو فكَّرَتْ . .
أو كتَبَتْ . . .
أو عَشِقتْ . .
غَسْلاً لعارِ العائلَهْ . . .

٢

هذى بلادٌ لا تريدُ امرأةً رافضةً . .

ولا تريدُ امرأةً غاضبةً
ولا تريدُ امرأةً خارجةً
على طُقُوسِ العَائلَهْ
هذى بلادٌ لا تريدُ امرأةً . .
تمشى أمامَ . . القافلَهْ . . .

هذى بلادٌ أكلتْ نساءها . . .
واضطجعتْ سعيدةً . .
تحت سياطِ الشمسِ والهجيرْ
هذى بلادُ الواق والواقِ . . التى تصادرُ التفكيرْ
وتذبحُ المرأةَ فى فراشِ العُرْسِ . . كالبعيرْ . . .
وتمنعُ الأسماكَ أن تسبحَ . . .
والطيورَ أن تطيرْ . .
هذى بلادٌ تكرهُ الوردةَ إن تفتَّحتْ
وتكرهُ العبيرْ
ولا ترى فى الحُلْمِ إلا الجِنْسَ . . والسريرْ . . .

٤

هذى بلادٌ أغلقتْ سماءَها . . .
وحنَّطَتْ نساءَها . .
فالوجهُ فيها عَوْرَةٌ
والصوتُ فيها عَوْرَةٌ
والفكرُ فيها عَوْرَةٌ
والشِّعْرُ فيها عَوْرَةٌ
والحُبُّ فيها عَوْرَةٌ
والقَمَرُ الأخضرُ ، والرسائلُ الزرقاءْ

٥

هذه بلادٌ ألغتِ الربيعَ من حسابِها
وألغتِ الشتاءْ . .
وألغتِ العيونَ . . والبُكَاءْ . .

هذى بلادٌ هَرَبتْ من عقلِها
واختارتِ الإغماءْ . .

٦

ماذا تريدُ المدنُ النائمةُ . . الكسولةُ . . الغافلهْ منّى . . .
أنا الجارحةُ . . الكاسرةُ . . المقاتلَهْ ؟
إن كان عقلى ما يريدونَ ،
فلا يُسعدُنى بأن أكونَ عاقلَهْ . . .
ما تفعلُ المرأةُ فى أمطارِها ؟
ما تفعلُ المرأةُ فى أنهارِها ؟
كيف تُرى يمكنُها أن تزرعَ الوردَ
على هذى الجرودِ القاحلَهْ ؟

٧

ماذا من المرأةِ يبتغونَ فى بلادنا ؟
يبغونَها مَسْلُوقةً . .

يبغونَها مَشْوِيّةً . .
يبغونَها معجونةً بشَحْمِها ولَحْمِها
يبغونَها عَروُسةً من سُكّرٍ . .
جاهزةً للوصلِ كلَّ لحظةٍ
يبغونَها صغيرةً . . وجاهلَهْ
هذى هى الوصايا العَشْر . .
فى حفْظِ تُراثِ العائلهْ . .

٨

معذرةً . . معذرةً . . .
لن أتخلَّى قطُّ عن أظافرى
فسوف أبقى دائمًا
أمشى أمامَ القافلَهْ . .
وسوف أبقى دائمًا . .
مقتولةً . . أو قاتلَهْ . .

٧٢ - السمكةُ تعود إلى بحرها

١

ها أنذا أمام بحرِ بيروت
لأستعيدَ صَداقتى مع الطيورِ والأسماكْ
وحوارى مع اللونِ الأزرق . .
بعدما أرهقَنى العطشْ . .
ودوّختنى المسافاتْ . .
وحاصرنى الزمنُ اليابسْ

٢

ها أنذا أقفز كسمكة
على شاطئ الأوزاعى
وأنامُ على الرملِ الدافئ

بعد مئةِ عامٍ من النومِ على سريرِ الأحزان

٣

ها أنذا أكسرُ جدران ذاكرتى
وأدخلُ المدينة التى علّمتنى
كيف أقرأُ كتابَ الحريّة
وكيف أكتشفُ فضاء أحلامى
وأبعادَ أنوثتى ؟

٤

ليس صحيحًا . . .
أنَّ بيروت يحدُّها البحرُ من الشرق
والجبالُ من الغرب
إنها مدينةٌ لا نهايات لها . .
تمامًا كالحلمِ . . والشِعر . . والحريّة

٥

ليس صحيحًا . .
أنَّ بيروت هى إحدى قصائدِ البحرِ الأبيضِ المتوسط
بيروت هى الشِّعرُ كلّه . . .

٦

بيوت كحّلتنى
وعطّرتنى
وجمّلتنى . .
وألبستنى سوارًا من الذهب . . .
لم أخلعْهُ من معصمى . . .
منذ أكثر من ثلاثينَ عاما . . .

٧

بيروت زرعتْ فى شعرى وردة . . .

لم تزلْ أوراقُها مبلّلة . . .
منذ أكثر من ثلاثينَ عاما . . .

٨

بيروت أعطتنى مفاتيحَ الشِّعر . .
وقنديلَ الثقافة . . .
ولا يزالُ القنديلُ يتوهّجُ فى غرفتى . . .
منذ أكثر من ثلاثينَ عاما . . .

٩

فى الستّينات . . .
كنتُ كنخلةٍ صحراويّة تنتظرُ المطر
كزهرةِ أقحوان . .
تبحثُ عن إناءٍ يحتويها . . .
وفى بيروت وجدتُ الإناء . .
واغتسلتُ بمطرِ الحريّة . . .

١٠

بعد عامٍ على وصولى إلى موطنِ القمر
بدأتُ أكتبُ شعرا
على دفترِ القمر . .
وبدأت أتعلّمُ لغة العصافيرِ فى (زحلة)
ولغةَ الصنوبرِ فى (ضهور الشوير)
ولغةَ الثلجِ فى جبلِ (صنين)
ولغةَ البحرِ فى صوتِ فيروز . .

١١

وفى مدينةِ (عالية) . .
وبين كرومِ العنبِ وأشجارِ الكرز
وأزهار الدفلى . .
أنجبتُ أحلى قصائدى (مبارك)
وهكذا أعطانى لبنان شهادتين أفتخرُ بهما . .

شهادةَ الحياة . .

وشهادةَ الأمومة . .

١٢

علّمنى بيتُنا فى (اليرزة)

كيف أصادقُ الشجر

وكيف أغتسلُ بموسيقى المطر

وكيف أتذوّقُ سمفونيّةَ الصراصيرِ الليليّة . . .

١٣

لم تستطعِ الحربُ أن تنتصرَ على لبنان

لم تستطعْ أن تنتصرَ على الحلمِ اللبنانى . . .

والتوهُّجِ اللبنانىّ . . .

والتفوُّقِ اللبنانىّ . .

لم تستطعْ أن تقصَّ أجنحةَ طموحِه . . .

أو توقفَ صهيلَهُ الجميل . . .
أو تغتالَ كبرياءَ أرزه . . وروعةَ مواويله . . .

١٤

لم تستطعِ الحرب . .
أن تُسكتَ صوتَ جبران . .
أو صوتَ الياس أبى شبكة . . .
أو صوت الأخطل الصغير . . .
ربما استطاعتِ الحربُ أن تحرقَ الحجر . .
والإسمنت . .
وأن تطفئَ قناديلَ الشوارع
ولكنّها بالتأكيدِ لم تستطعْ أن تطفئَ حضارةَ
صيدون وصور . . .
أو تمنعَ قدموسَ من الإبحارِ إلى المستحيل . .

١٥

سبعةَ عشرَ عاما . . مرّت على حريقِ بيروت . .
ولا تزالُ أكبرَ من موتها . .
وأكبر ممّن دمّروها . . وأحرقوها . .
سبعةَ عشرَ عاما تحتَ ألسنةِ اللهيب .
ولا تزالُ تتوهّجُ تحتَ الرماد . .
كسبيكةِ الذَّهب . . .

- الاتفاق

١

تعالَ . .

أوقّع معكَ اتفاقَ سَلاَمْ

أستعيدُ به أيامي الواقعةَ تحت سلطتكْ

وفمي المحاصرَ بين شَفَتَيْكْ . .

وتستعيدُ أنتَ بموجبهِ

رائحتَكَ المسافرةَ تحت جلْدي . .

٢

أكْتُبِ النصَّ الذي تريدُهُ..
والشروطَ التي تقترحُها ...
ولسوفَ أوقّعُ لكَ علي بَيَاضْ
أيَّ عقدٍ يريحُكْ
أَخْرُجُ به أنا من أرقامِ مفكّرتِكْ
وأثاثِ مكتبكْ
وتخرجُ به أنتَ من إيقاع حياتى..
وسواد عُيوني..

٣

تعالَ نُجرِّبْ . . ولو ليومٍ واحدْ
هذه اللُّعبةَ المستحيلهْ
فَأَطْلُبُ أنا في الهاتفِ رجلاً لا يعني لي شيئاً . .
وتديرُ أنتَ رقْمَ امرأةٍ لا تعني لكَ شيئًا
إسمحْ لي . .
أن لا أنشغلَ عليكَ إذا سافرتْ
وأن لا أطيرَ فرحًا إذا رجَعت
إسمحْ لي . .
أن لا يلفَّني القلقُ إذا مرضتْ
وأن لا أكون صديقةَ حُزنكَ . . إذا حزِنتْ . .
فاتفاقُ السلام الذي عقدتُهُ معَكْ
يمنعني أن أخافَ عليكْ . . .

٤

أكتبْ . .
صكَّ إعدامكَ بيديكْ
وأنا سوف أكتبُ صكَّ إعدامي بيديْ . . .
تعالَ . . نجرِّبْ هذه الحماقةَ الكبري
فأقول للعالم : إنني لا أحبُّكْ
تعالَ . . نجرِّبْ ولو علي سبيلِ التمثيلْ
كيف يكونُ الإنتحارْ . . .

كُنْ صديقي...

١

كُنْ صديقي.

كُنْ صديقي.

كم جميلٌ لو بقينا اصدقاءْ

إنَّ كلَّ امرأةٍ تحتاجُ أحيانًا إلي كفِّ صديقْ..

وكلامٍ طيبٍ تسمعُهُ..

وإي خيمةِ دفءٍ صُنعَتْ من كلماتْ

لا إلي عاصفةٍ من قُبُلاتْ

فلماذا يا صديقي؟.

لستَ تهتمُّ بأشيائي الصغيرةْ

ولماذا.. لستَ تهتمُّ بما يُرضي النساءْ؟..

٢

كُنْ صديقي.

كُنْ صديقي.

إنني أحتاجُ أحيانًا لأن أمشى على العُشْبِ مَعَكْ..

وأنا أحتاجُ أحيانًا لأن اقرأ ديوانًا من الشعرِ مَعَكْ..

وأنا ـ كامرأةٍ ـ يُسْعِدُنى أن أسْمعَكْ..

فلماذا ـ أيها الشرقىُّ ـ تَهتمُّ بشكْلى؟.

ولماذا تُبصِرُ الكُحْلَ بعينيَّ..

ولا تُبصِرُ عَقْلى؟.

إننى أحتاجُ كالأرضِ إلى ماء الحوارْ.

فلماذا لا ترى فى معصمى إلاّ السِوارْ؟.

ولماذا فيكَ شىءٌ من بَقايا شهريارْ؟.

٣

كُنْ صديقي.

كُنْ صديقي.

ليس في الأمر انتقاصٌ للرجولَهْ

غيرَ أن الرجلَ الشرقيَّ لا يرضي بدورٍ

غير أدوار البطولَهْ..

فلماذا تخلطُ الأشياءَ خلطاً ساذجًا؟.

ولماذا تدّعي العِشقَ وما أنتَ العشيقْ..

إن كلَّ امرأةٍ في الأرضِ تحتاجُ إلي صوتٍ ذكيٍ..

وعميقْ.

وإلي النومِ علي صدرِ بيانو أو كتابْ..

فلماذا تُهمِلُ البُعْدَ الثقافيَّ..

وتُعْنَي بتفاصيلِ الثيابْ؟.

٤

كُنْ صديقي.

كُنْ صديقي.

أنا لا أطلبُ أن تعشقني العشقَ الكبيرا..

لا ولا أطلبُ أن تبتاعَ لي يختًا..

وتُهديني قصورا..

لا ولا أطلبُ أن تُمطِرني عِطرًا فَرَنسيًا..

وتعطيني مفاتيحَ القَمَرْ

هذه الأشياءُ لا تُسعدُني . .

فاهتماماتي صغيرَهْ

وهِواياتي صغيرَهْ

وطموحي . . هو أن أمشيَ ساعاتٍ . . وساعاتٍ معكْ .

تحت موسيقي المَطَرْ . .

وطموحي، هو أن أسمعَ في الهاتفِ صوتَكْ . .

عندما يسكنُني الحزنُ . . .

ويُبكيني الضَجَرْ . .

كُنْ صديقي.

كُنْ صديقي.

فأنا محتاجةٌ جداً لميناء سَلامْ

وأنا مُتْعَبَةٌ من قِصَصِ العشْقِ، وأخبارِ الغرامْ

وأنا مُتْعَبَةٌ من ذلك العصرِ الذي

يعتبرُ المرأةَ تِمْثالَ رُخَامْ.

فتكلَّم حين تلقاني...

لماذا الرجلُ الشرقيُّ ينسي ،

حين يلقي امرأةً، نِصفَ الكلامْ؟.

ولماذا لا يَري فيها سوي فطعةِ حلوي..

وزغاليلِ حَمَامْ..

ولماذا يقطفُ التفَّاحَ من أشجارها؟ ..

ثم ينامْ..

إلى واحدٍ لا يُسمَّى..

١

أُسَمِّيكَ..

- رَغْمَ اقتناعي بأنّكَ لستَ تُسَمَّى -

«حبيبي»

وأعرف أنَّ اللغَاتِ تضيقُ عليَّ -

وأنَّ قميصي يضيقُ عليَّ..

وأنَّ سريري يضيقُ عليَّ..

وأنَّ جميعَ المعاجمِ من دُونِ جدوى..

وأن حروفي مضرَّجةٌ باللهيبِ..

٢

أُسَمِيكَ
- رَغْمَ احتجاج قُرَيْشٍ -
«حبيبي»
ورغمَ احتجاج كُلَيْبٍ . . .
«حبيبي»
وأعرفُ أن حدودكَ ليست تُحَدُّ
وأنَّ رُمُوزَكَ ليست تُحَلُّ
وأنَّ قراءةَ عَينيْكَ
مثلُ قراءةِ علم الغُيُوبِ . .

٣

أُسَمِّيكَ . .

- حتّى أغيظَ النساءَ -

«حبيبي»

- وحتي أغيظَ عُقُولَ الصفيحِ

«حبيبي»

وأعرفُ أنّ القَبيلةَ تطلبُ رَأْسي

وأنّ الذُكورَ سيفتخرون بذَبْحي

وأنَّ النساءَ . .

سيرقُصْنَ تحت صليبي . .

٤

نَبَشْتُ جميعَ القواميس..
حتي تعبتُ ..
فهل تتذكَّرُ إسْمًا..
جديدًا..
غريباً..
مثيرًا ..
يليق بحُبّي الجنونيِّ
غيرَ «حبيبي»؟؟.

مقدّمة

أَيُّ بُشْرى! قلمي لاَغَى، وناغي، وَتَكَلَّم..
بعد ما اسْتَسْلم لليأس وأغفي وتأزَّمْ
خِلْتُهُ ماتَ، ولكنْ كان في صمتٍ ملَثَّمْ
ثم وافي بعد عامين بشَجْوي يَتَرَنَّمْ.

أَيُّ بشري، عادت الآمال في أُفْقِ حياتي
وانْتَشَتْ روحي وغَنَّى قلمي بَعْدَ سُبَاتِ
ها أنا أُمْطِرُهُ اليومَ أَحَرَّ القُبُلاَتِ
قَلَمُ الشَّاعِرِ لاَ يَعْرِفُ مَعْنَى لِلْمَمَاتِ

قلمي بَلْسَمُ هَمِّي وَضِمَادٌ لأنِيني
يَبْعَثُ النشوةَ والآمَالَ في قَلْبي الحزينِ
كلماتي نفثاتٌ من حنانٍ وحنينِ
وحروفي لمحةٌ من طَلْعَةِ الحقِّ المبينِ

هاكَ شِعْري، وسأتلوهُ لروحِ ابني الحبيبِ
ولأهْلي ولأحبابي وللحقِّ السليبِ
سوف أرويهِ بدمعي الثاكلِ الثَّرِّ الصبيبِ
وأنا في غربتي، أَوَّاهُ من عيشِ الغريبِ..

قلمي، وَهْوَ حبيبي، كان في شوقٍ إلَيّ
آهِ إذْ عانَقْتُهُ مشتاقَةً في إصبَعَيّ
خلْتُ أن الحِبْرَ يَبكي فرحةً بينَ يَدَيّ
ويغنيِّ بحروفٍ من رضا الله عَلَيّ

قلمي، يا ولدي الروحيَّ، يا أحلي عطاءْ
قلمي، يا راحة النفس ويا لمْحَ السماءْ
لم تزل في محنة كبيرَ الكبريَاء
تمسحُ الجرحَ بما تصهَرُ من مُرِّ الرِّثَاءْ

قلمي، أنت صديق العمر، يا نعْمَ الصديقْ
أنت لي خيْرُ رفيقٍ أيْنَمَا عَزَّ الرَّفيقْ
كلما شَبَّ أُوارُ القَلْبِ أطفأْتَ الحريقْ
وإذَا لجَّتْ بيَ المَوْجاتُ انقذْتَ الغريقْ

أنتَ أنتَ الفعلُ يجري صُعُداً في كلماتي
أنْتَ من تعرفُ آلامي وأسْرَارَ حيَاتِي
يا أمينَ العهْدِ، كالأبْرَارِ، والرُّسْلِ الهُدَاةِ
يَا مَلاَكاً يَغْمُرُ النَّفْسَ بِفَيْضِ الرَّحَمَاتِ

أنْتَ قَبْلَ أبْنِي وبَعْدَ ابْنيَ خِدْنِي
وشريكي في الَّذِي تَسْمَعُ مِنِّي..
أنْتَ في المأساةِ تحتَمِلُ الآلامَ عَنِّي
وإذا ما ابتَسَمَ الدَّهْرُ أغَنِّي فَتُغَنِّي..

أحبكَ حُبًّا كَبيرا

أحِبُّكَ حبًّا كَثيرًا، قَوِيًّا، عَتيًّا، مُثيرا..

أحبُّكَ يا روحَ روحي.. وباسْمِكَ أشدو كثيرا

وكم مرةً يا حبيبي.. تواعدني أن تزورَا..

فألْبَس ثوبيِ ضياءً .. وأرسل شعري حريرا..

وأملأ يومي شموسًا .. وأزرَعُ ليلي بُدورا

وأنظِمُ شعري غناءً .. وأغْمُرُ جَوِّي عبيرَا ..

وتوشكُ لهفَةُ قلبي إلي موعدي أنْ تطيرَا
وتمضي عليَّ الثواني، فأحسبُهُنَّ الدُّهورَا
إلي أن يضيق خيالي، ويصبحَ حزْني كثيراَ
لكم كان حُلمْي سَرَابًا، وكم كان وهْمي ضريراَ
وأنتَ كما أنت باقٍ، تحطِّمُ قلبي الْكَسِيرا
أتتركني يا حبيبي أُعاني الْجَوَي والسَّعيرَا؟.
لقد طال بعدَكَ ليلي، وكم كان ليلي قَصيراَ
وَعَزَّ عليَّ ابْتسامي، وكان ابتسامي نَضيراَ
وها أنا أشرب كأْسي شجِيًّا، شقيًّا، مريراَ
وأمضي إلي الغابِ وحدْي، فلا أستشفُّ العبيراَ
وتنتحرُ الشمسُ حُزْنًا علينا، وتبكي المصيرا
وتسقطُ في البحر هَوْنًا، وتجمُدُ دفئًا ونُورا
كأنَّ غروبَ هوانا، لكلِّ غروب نذيراَ

وتهتاجُني ذكرياتي، وتوشِكُ أن تستجيرا
وتأخذني في دروبٍ، . أطلنا عليها المسيرا
وتنقُلُني في رياضٍ، سكَبْنا عليها العُطُورا
وتُغرقني في أمانٍ، بنينا عليها القُصُورا
وكفَّكَ في حضْنِ كفِّي، سعيدًا، حنونًا، قريراَ
ومازلتَ أنت المُفَدَّي، وما زلت أنت الأثيرا
ومازلتَ حلمي المرجَّي، ومازلتَ عندي الأميرا
وما زلتَ نورًا لعيني، ومازلتَ حبِّي الكبيرا
وقد كُنتَ أوَّلَ حُبٍّ . . وما زلت أنت الأخيرا . .

قَدَرٌ

أُخْتَ روحِي، كُنْتِ بالأَمْسِ بقُرْبِي تَشْهدينْ
وقْفَتي الحَيْرَي بمحْرابِ الهَوَى البَاكي الحَزينْ
ويَدُ الموْتِ تشُلُّ الأَمْنَ في دَرْبي الأَمِينْ
ونَعيبُ البُومِ يعْلُو... والأَسَي لا يَستَكينْ
ودُمُوعي في ضُحَي المأْسَاة شَلالٌ سَخينْ
وثيابي السُّودُ تَنْعاني لِدُنْيا اليائِسينْ.

أُخْتَ رُوحي، كُنْتِ منْ قَبلُ بِحُبِّي تَسْخَرِينْ
كُنْتِ من فَرْحةِ قَلْبي بالهَوَى تَسْتَغْرِبِينْ
وتقُولينَ بأَنِّي طفلةٌ لا تَسْتَبِينْ
طِفْلةٌ ضَلَّتْ طَرِيقَ النُّورِ بَيْن العَاشِقِينْ
وتُضيفين: دَعِي العِشْقَ فَذُو العِشْق سَجِينْ
إنَّه نَارٌ . . وفي أَتُونِها تَحْتَرِقِينْ.

لَيْتَني، يا أُختُ، صدَّقْتُكِ فيما تدَّعِينْ
وقتلْتُ الشَّوقَ في رُوحي وأَزْهقتُ الحَنِينْ
وطَعَنْتُ الشَّكَّ في قَلْبي بِسِكِّين اليَقِينْ
ورفَضْتُ القَدَرَ المكتوبَ لي عَبرَ السِّنِينْ
غَيْر أَنَّا لا نَرَي ما خَطَّهُ فوْقَ الجَبِينْ

حلم

ثُمَّ نَامَ الكونُ، فاسْتدْعتكَ أَشْواقي كَثيرا
وأنا أَبْذُلُ للُّقْيا من الدَّمع بُحُورا . .
وأَمُدُ السُّهْدَ، والآهاتِ، والنَّجَوِي، جُسورا
عَلَّها تُدْنيكَ يا رُوحي، إذا شِئْتَ العُبُورَا
ومَلأْتُ الغُرْفةَ الورديَّةَ الظِّلِّ، عَبيرَا
ومن الخافِق في الأَضْلُعِ هيأتُ السَّرِيرَا . .

وبعَذْبِ الغزَلِ المْنظُومِ، زخرفتُ الحَرِيرا
وجعَلْتُ النَّغَم الحَالِم للُّقْيا بَخورا
وغمرتُ الجوَّ تَحْنَانًا، وشعرًا، وشُعورا

وبأَحْلَي كلمات الحُّبِ حاكيْتُ الطُّيورا
فإذا طْيفُ حَبيبي يتراءى لي بَشيرا
وإذا وجهُ حَبِيبِي يجعْلُ الظلُّمةَ نُورا
وإذَا بي.. وأنا أَرْقُص بِشْرًا وحُبُورا
أَغْلِقُ الشُّبَّاكَ حتي لا أرَي النُّورَ المُغيرا
إذْ أرَي قَلْبي من البَدْرِ علي بَدْرِي غَيُورا
وأَنا بَيْن يَدَيْه، آسِرٌ ضمَّ أَسِيرَا..

وأَسِيرٌ في يدَيْ آسِرِهِ نَآمَ قرِيرا
وتراوَحْنا بِقلَبَيْنَآ... نَعيمًا وسَعِيرا

وَمضَي اللَّيلُ قصيراً، وبَدا الفَجْرُ نَذيرَا
وإذَا لُقْياكَ رؤْيا . . ترسُمُ الوَهْم قُصورَا
وإذَا بي أَنا وَحْدي، أَشْربُ الدَّمعَ المَرِيرَا
هكذَا الأَيَّامُ تُقْصِينَا، فلا نَدْري المَصيرا.

أنتَ أدْري

يا حبيبي، لو فَرشتُ الدَّرْبَ مِنْ أَجْلِكَ زَهْرَا
وملأْتُ الجَوَّ أَضْواءً، وألْحَانًا، وعِطْرَا
ومدَدْتُ الهُدْبَ في غَابَةِ أَحْلاَمِكَ جِسْرَا
ونَسَجَتُ الأمْسياتِ البيضَ للأَشْواقِ وَكْرَا
هَانئًا يقطُرُ طِيبًا . . دَافئًا يَنْبِضُ سِحْرَا
لبَدَا الكونُ لنَا مِنْ نفْحة الفِردَوْس قِصْرَا
نحنُ فِيه وحْدنَا للحُبِّ، أحرارٌ وأَسْرَى . .

يا حبيبي، كَمْ تَرامَتْ لْهفَتي بَرًا وبَحْرا
كَمْ زَرعتُ الأَرْضَ شَوْقًا، وسقيتُ النَّبْتَ خَمْرَا
وسمعْتُ الرِّيحَ تْحكي آهةً في الصَّدْرِ حَرَّي
أَنا لو فجَّرتُ دَمْعي، ما غَدَتْ في الكَوْن صَحْرا
أَنا لَوْلا حبُّك الملهِمُ ما حررَتُ سَطْرا . .
حُبُّكَ المُلْهِمُ خَلَّى هَمَسَاتي لكَ شِعْرَا . .

يا حبيبي، إِنَّ قلْبي لَيْس يعْصي لَكَ أَمْرَا
كُلَّما هيَّأْتَ لي تَضْحيةً . . . هَيأْتُ عَشْرا
لوْطلبتَ الشَّمسَ، والزُّهْرَةَ، والأَنْجُمَ طُرًّا
لتَرامَتْ حَوْل أَقْدامِكَ بالفَرْحة سكْرَى

مُرْ . . تجدْنِي أَجْعَلُ اللَّيْل إِذَا ما شئتَ فَجْرَا

والخَرِيفَ الجهْمَ، نِيسانًا، وأَلْوانًا، وبُشْرَي . .

يا حبِيبِي، لا تَسَلْ ما لَوْنُ حُبِّي . . . أَنتَ أَدْرَى

اعتذار

يا مُني القَلْبِ، مِنَ القَلْبِ اعْتِذارَا
إنْ طَغَى الشَّوقُ بجنْبيَّ وثَارَا
فهُيَامِي بِكَ ما كانَ اختيارَا
أنْت مَنْ تَجْعَلُ لَيْلاتِي نهارَا
أَنْتَ مَنْ تملأُ أَيَّامِي اخْضِرارَا
أَنْتَ من تُسْعدُ أَحْلامِي العَذَارَي

أَيُّها الطَّيرُ الذي رَفَّ وطارَا
وأَنا أَبْني له في القَلْب دَارَا
كيْفَ أَمْسَي حُبُّنَا نُورًا ونَارَا؟.

أَنا أَهْوَاكَ.. وأَهْوَاكَ.. جِهارَا
وأُغنِّي بكَ زَهْوًا وافْتِخَارَا
أَيُّها التَّائهُ كِبرًا واقْتِدَارَا
أَيُّها الشَّاهِقُ كالشَّمْس مَدَارَا
قُلْ.. ولا تُشفِقْ، ولا تَخْشَي اعْتِبارَا
أَتُرَي تذْكُرُ أَيَّامي الحَيَارَي

كُلَّما شطَّ بكَ الدَّهرُ مزَارَا
فإذَا طَافَ بِكَ الشَّوْقُ غِرَارَا

فتذكَّرْ أنَّني ذُبْتُ اصطِبَارَا

وترفَّقْ بأَمَانيَّ السُّكَارَى

لا تَدَعْ طيفَكَ عنِّي يَتَوارَى

لا تَدَعْني أَسأل الغيْبَ مِرارَا

وأنا أعتصرُ الدَّمْعَ اعْتِصارَا

أنا كَمْ أَفْنَي وكم أَحْيَا انتظارَا

بلْ دَعِ الشَّوقَ لرُوحَيْنَا شِعَارَا

والرَّسالاتِ لقَلبيْنَا حِوارَا

إنَّما بالحُبِّ تَخْضَلُّ الصَّحارَى

فهو عارٌ أَن نَرَى في الحُبِّ عَارَا

في زحام المدينة

وتلاشيْتُ في زِحَامِ المدِينَةْ
وذَوَتْ بسمَةُ الشِّفاه الحَزِينَةْ
أَنا في غُرْبتي أَحسُّ ذَراعيْكَ . .
تَشُدَّانَنِي لحِضْنِ السَّكِينة
وضَجِيجُ الأنَام يُوقِظُ آمالِي
. . . ويعْلُو علي شُجُوني الدَّفِينة
فإذَا أَقْبَلَ المَسَاءُ وغامَتْ
وَحْدتي، بِتُّ في عَذَابي سَجِينَةْ

تَتَوالَي ساعاتُ ليْلِي طِوَالاً
كمحيطِ الظَّلاَمِ حَوْل السَّفِينَة
أتمنَّاكَ يا حَبِيبِي. . . أُصَلِّي
لِغرامٍ أنا عليهِ أَمِينَه
وأُناديكَ. . لا يُلَبِّي نِدَائي
غَيْرُ تهويمةِ اللَّيالي الضَّنِينَة
والظَّلامِ الذي يطاردُ أَحْلامِي
ويمْشي إلى المُنَى بالضَّغِينَة
ثم أَلْقي عَيْنيْكَ في هَدْأَةِ الفَجْرِ
فأصْحُو علي الدُّموعِ السَّخِينَة
وأَرَي الشَّوقَ بينَ جنبيَّ نارًا
وأَرَي الرُّوحَ في يَديْك رَهِينَة

رقم الإيداع بدار الكتب ٤٣١٢ / ٢٠٠٣

I.S.B.N . 977 - 01 - 8403 - 9

تصميم الغلاف: صبري عبد الواحد جرافيك: إسلام حنفي

فلماذا تخلطُ الأشياءَ خلطاً ساذجاً؟.

ولماذا تدّعى العِشقَ وما أنتَ العشيقْ..

إن كلَّ امرأةٍ فى الأرضِ تحتاجُ إلى صوتٍ ذكىٍ..

وعميقْ..

وإلى النومِ على صدرِ بيانو أو كتابْ..

فلماذا تُهمِل البُعْدَ الثقافِّى..

وتُعْنَى بتفاصيلِ الثيابْ؟.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

الثمن ٥٠٠ قرش